

تاريخ افتتاح الأندلس

لابن القوطية

"٣٦٧هـ-٩٧٧م"

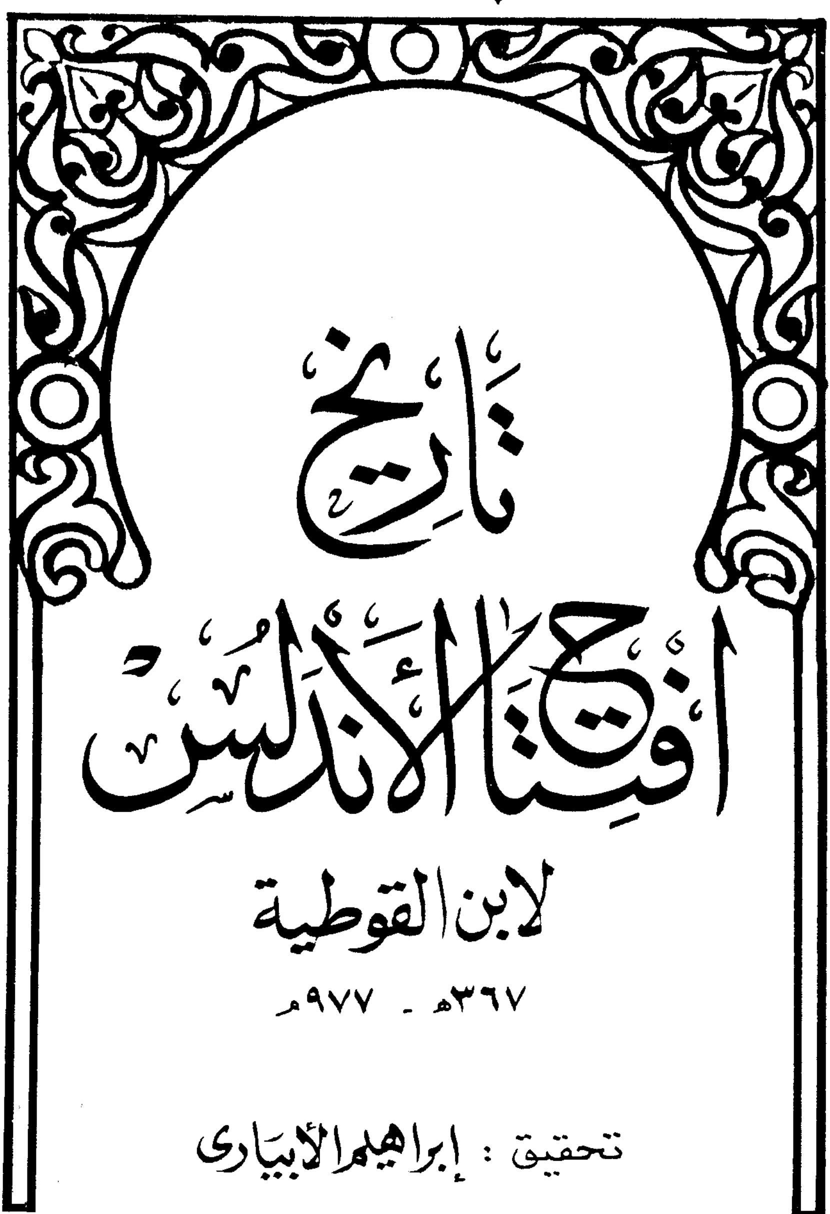
تحقيق: ابراهيم الابياري

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

المكتبة الأندلسية

مجلد ٢ 2



تاريخ افتتاح الأندلس

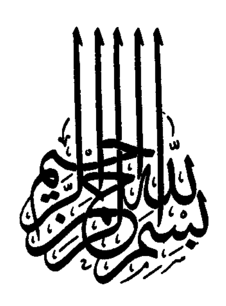
لابن القوطية

٣٦٧هـ - ٩٧٧م

تحقيق : إبراهيم الأبياري

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت



دار الكتاب المصرى

٣٣ شارع قصر النيل ـ القاهرة ج. م. ع.
ت ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٣٤٣٠١
ص. ب: ١٥٦ ـ الرمز البريدي ١١٥١١ برقياً كتا مصر
TELEX No. 23081-23381-22181
ATT MR. HASSAN EL-ZEIN
فاكسميلي: ٣٩٢٤٦٥٧
FAX: 3924657

دار الكتاب اللبنانى

شارع مدام كورى ـ مقابل فندق بريستول
ت: ٨٦٠٧٩٢ / ٨٦١٥٦٣
ص. ب: ١١/٨٣٣٠
TELEX: DKL 23715 LE
ATT: MAY. H. EL-ZEIN
بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية: ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م.



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

وهذا التقديم ينتظم :

١ ـ المراجع .

٢ ـ تعريفًا بالمؤلف .

٣ ـ وتعريفًا بالكتاب .

(١)

المراجع

١ ـ الأعلام للزركلى (٧ : ٢٠١) .

٢ ـ إنباه الرواة للقفطى (٣ : ١٧٨) .

٣ ـ بغية الملتمس للضبي (ت : ١٠٢) .

٤ ـ بغية الوعاة للسيوطى (١ : ١٩٨) .

٥ ـ البيان المغرب لابن عذارى (٢ : ٨٦) .

٦ ـ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (٣ : ٨٩ ـ ٩١) .

٧ ـ تاج العروس للزبيدى (٥ : ٣١٣) .

٨ ـ تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (١ : ٣٧٠ ـ ٣٧٢) .

٩ ـ تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروزابادى (نوادر المخطوطات : ١ : ١٠٨ ـ ١٠٩) .

١٠ ـ جذوة المقتبس للحميدى (ت : ٧١) .

١١ ـ دائرة المعارف الإسلامية (١ : ٢٦٥) .

١٢ ـ الديباج المذهب لابن فرحون (٢٦٢ ـ ٢٦٣) .

١٣ ـ شذرات الذهب لابن العماد (٣ : ٦٢) .

١٤ ـ العبر فى خبر من غبر للذهبي (٢ : ٣٤٥) .

١٥ ـ عيون التواريخ لابن شاكر (وفيات سنة : ٣٦٧) .

١٦ ـ فهرست دار الكتب المصرية (٥ : ٧٢ ـ ٧٣ تاريخ) .

١٧ ـ كشف الظنون لحاجى خليفة (ص : ١٣٣ ، ١٤٦٢) .

١٨ ـ لسان الميزان لابن حجر (٢ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥) .

١٩ ـ مرآة الجنان لليافعى (٢ : ٣٨٩) .

٢٠ ـ مطمح الأنفس لابن خاقان (ص : ٦٧) .

٢١ ـ معجم الأدباء لياقوت (١٨ : ٢٧٣ ـ ٢٧٥) .

٢٢ ـ معجم المطبوعات لسركيس (ص : ٢١٩) .

٢٣ ـ المنجد للويس معلوف (غوطية ، ص : ٤٢٥) .

٢٤ ـ نفح الطيب للمقرى (٤ : ٧٣ ـ ٧٤) .

٢٥ ـ هدية العارفين لإسماعيل البغدادى (٦ : ٤٩) .

٢٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ : ٣٦٨ ـ ٣٧١) .

٢٧ ـ يتيمة الدهر للثعالبى (١ : ٤١١ ـ ٤١٢) .

(٢)

التعريف بالمؤلف

ابن القوطية ، هو : أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأَندلسى ، القُرطبيّ المولد والوفاة .

والقوطية ، التى يرتقى نسبه إليها ، نسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام .

كذا قال ابن خلكان وياقوت ، وزاد ياقوت وتبعه السيوطى فى البغية : كانوا بالأَندلس قبل الإسلام أيام إبراهيم عليه السلام .

ثم زاد الزبيدى فى كتابه تاج العروس : أبو السودان ـ يعنى حام ابن نوح ـ والهند والسند .

ويبدو أَن هؤلاءِ القوطيين ، أَو الغوطيين ، هم ذلك الشعب الجرمانى الذى سكن أَولا عند مصب نهر فيستول ثم نزح إلى الجنوب من أُوربا ، وإليه ينسب الفن القوطى أَو الغوطى .

والقوطية هذه ، التى نُسب إليها أَبو بكر محمد بن عمر ، هى سارة بنت المُنْذ بن غَيْطشة ، آخر ملوك القوط .

كذا ذكر ابن القوطية فى كتابه هذا الذى نقدمه (١) .

---

(١) انظر فهرست الكتاب .

ولكن ابن خلكان لايصرح باسمها ويذكر أنها ابنة أُبَّة بن غَيْطشة . ولعله نقل هذا عن « أخبار مجموعة »(١) ، ففيه أن أُبَّة ، ابنُ غَيْطشة ، والأَرجح والأَصح أن أُبَّة ، أَخو غَيْطشة .

أَما أَولاد غَيْطشة فكانوا ، كما ذكر ابن القوطية : وقلة ، وأَلمُند ، وأرطباس ، أَو أَرطباش .

وكانت سارة القوطية ، كما ساق هذا ابنُ القوطية ونقله عنه ابن خلكان ، قد وفدت على هشام بن عبد الملك متظلّمة من عمها أَرطباس ، قومس الأَندلس ، وكان أَخذ ضياعها ، فزوجها هشام من عيسى بن مزاحم ، وهى أُم ولديه : إبراهيم ، وإسحاق ، فقدم معها عيسى بن مزاحم الأَندلس وقبض ضياعها ، ثم توفى عنها فى العام الذى دخل فيه عبد الرحمن ابن معاوية الأَندلس .

ثم تنافس فيها حيوة بن ملامس المذحجى ، وعُمير بن سعيد اللخمى ، فتزوجها عُمير بن سعيد ، فولدت له حبيب بن عُمير (٢) .

وكان عيسى بن مزاحم من موالى عمر بن عبد العزيز ، وكان زواجه من سارة بسبب انتقاله إلى الأَندلس .

وقد طالت حياة سارة إلى أيام الأَمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك ، فكانت تدخل عليه وتقضى حاجاتها .

---

(١) انظر فهرست أخبار مجموعة .

(٢) انظر فهرست هذا الكتاب .

وقد غلب اسمها على ذريتها إلى أيام أبي عمر أحمد بن محمد بن عفيف التاريخي ، المتوفى سنة ثلاثين وأربعمائة (٤٣٠ هـ) ، فقد ذكر ذلك فى كتابه : الاحتفال فى أعلام الرجال فى أخبار الفقهاء والعلماء المتأخرين من أهل قرطبة ، وعنه نقل ابن الأبار فى كتابه التكملة .

* * *

ولقد وُلد أبو بكر محمد بن عمر بقرطبة ، لاندرى متى كان ذلك ، ولم يذكر شيئًا عن هذا من ترجموا له ، غير أنا نستطيع أن نقول : إن مولده كان مع ابتداء الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، فالمؤرخون يروون أنه كان طويل العمر ، وستقرأ هذا بعد قليل .

ثم إذا عرفت أنَّ أبا على القالى لقيه بالأندلس ، وكان ابن القوطية عندها رجلاً قد اكتمل علمًا ، وكان بإشبيلية ، وأن القالى كان دخوله الأندلس بعد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (٣٢٨ هـ) ، عرفت صحة ماذهبنا إليه .

ثم انتقل أبو بكر محمد بن عمر إلى إشبيلية ، وكذا لاندرى متى كانت هذه النقلة ، ويبدو أنها لم تكن فى سن مبكرة ، فلقد عاش بقرطبة إلى أن بلغ مبلغ التلقى والسماع ، فيروى بعض من ترجموا له أنه سمع بقرطبة من شيوخ عدة ، منهم :

طاهر بن عبد العزيز ، وابن أبي الوليد الأعرج ، ومحمد بن عبد الوهاب بن مُغيث ، ومحمد بن عمر بن لُبابة ، وعمر بن حفص ابن أبي تمَّام ، وأسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن خالد ، ومحمد بن

مسْور ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، وعبد الله بن يونس ، وأحمد ابن بشر الأغبش ، وقاسم بن أصبغ .

ثم كانت نقلته إلى إشبيلية ، فسمع بها عن شيوخ ليسوا فى كثرة من سمع عنهم فى قرطبة ، منهم : محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيرى ، وسعيد بن جابر ، وعلى بن أبى شَيبة ، وسيد أبيه الزاهد .

ولقد سمع ابن القوطية من غير هؤلاء لاشك ، فالذين ترجموا له يقولون : ولقى أكثر مشايخ عصره بالأندلس فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم .

ويبدو أن أبا على القالى كان من أساتذته ، وكان هو – أعنى ابن القوطية – من تلامذته ، وعلى هذا صاحب النفح والقفطى فى إنباه الرواة .

ولكن عبارة ابن خلكان تكاد تنفى هذه التلمذة وتردها إلى زمالة .

يقول ابن خلكان : وكان أبو على القالى ، لما دخل الأندلس ، اجتمع به ، وكان يبالغ فى تعظيمه ، حتى قال له الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن صاحب الأندلس يومئذ : من أنبل من رأيته فى بلدنا هذا فى اللغة ؟ فقال : محمد بن القوطية .

* * *

وعلى أية حال فهذه الكثرة فيمن عددنا من شيوخه بقرطبة تزيدنا تأكيدًا بأن انتقاله إلى إشبيلية من قرطبة لم تكن فى سن مبكرة ،

كما قلت قبل ، وكأنّى بها كانت مع تولى أبيه القضاء بإشبيلية للناصر ، ولا ندرى كم كانت سن أبى بكر عندها ، ولكنا ندرى أنَّ تولّى هذه المناصب القضائية قديماً لم يكن إلا مع سن متأخرة ، وفى هذا مايعنى أن الأبناء ، لمثل هذا الذى كان يتولى القضاء ، يكونون قد كبروا شيئًا .

وعلى أية حال فلقد كانت إقامة ابن القوطية بإشبيلية قصيرة لم تجاوز مدة تولى أبيه القضاء بها ، فلقد كان له بقرطبة ضيعة ، كما أنه دُفن بقرطبة ، كما ستعلم هذا عند الكلام على وفاته .

* * *

وكانت كتب اللغة أكثر مايُقرأ على ابن القوطية ويُؤخذ عنه ، فلقد كان حافظًا للغة ، متقدمًا فيها على أهل عصره ، لايُشق غباره ، ولا يُلحق شأوه .

يقول ابن الفرضى : اختلفت إليه أيام نظرى فى العربية فى سماع الكامل لمحمد بن يزيد المبرد ، وكان يرويه عن سعيد بن جابر ، فشهدتُ منه مجالس .

ويقول ابن الفرضى أيضًا : روى عنه جماعة من الشيوخ والكهول ممن ولى القضاء وقُدِّم إلى الشورى ، وتصرّف فى الخطط ، من أبناء الملوك وغيرهم .

ولعل هذه كانت لِمَا عُرف عن ابن القوطية من أنه كان حافظا لأخبار الأندلس ، عالمًا بِسَير أمرائها ، وأحوال فقهائها وشعرائها ، يملى ذلك عن ظهر قلب

غير أنه على هذه لم يكن ، كما يقول ابن الفرضى ، بالضابط لرواية فى الحديث والفقه ، ولاكانت له أُصول يَرجع فيها ، من أَجل هذا كان مايُسمع عليه من ذلك إنما يُحمل على المعنى لا على اللفظ .

ويزيد ابن الفرضى : وسمعت منه ، وكانت فيه غَفلة وتقشُّف فى مَلبسه وَورَع .

ثم يقول : وذُكر أنه كان يدلِّس فى حديثه .

هذا مايحكيه ابن الفرضى عن ابن القوطية ، عن مكانته فى الفقه والحديث ، ويُسايره عليه فى بعضه ابنُ خلكان ، وياقوت ، والسيوطى .

ونرى ابن فرحون ينقل هذا عن ابن الفرضى ، وينقل كذلك مايناقضه عن ابن عفيف ، فيقول : قال ابن عفيف : كان — يعنى ابن القوطية — جايلاً ، من أعلم زمانه باللغة والعربية ، حافظًا للفقه والحديث والخبر والنوادر والشِّعر ، وله فى الحديث قَدَم ثابتة ، ورواية واسعة ، وهو علىَ ذلك من أهل النسك والعبادة .

وينقل ابن فرحون كذلك عن ابن عبد الرؤوف ، يقول : قال ابن عبد الرؤوف فى طبقاته : كان أَبو بكر من علماء الأَندلس ، فقيهًا من فقهائهم ، صدرًا من أُدبائهم ، حافظًا للغة والعربية ، بصيرًا بالغريب والنادر والشاهد والمثل ، عالمًا بالخبر والأَثر ، جَيِّدَ الشعر ، صحيح اللفظ ، واضح المعانى .

إلى أن يقول ابن عبد الرؤوف : وهو إمام من أَئمة الدين ، تام العناية فى الفقه والسنة ، مع مروءة ظاهرة .

* * *

ولم يصرِّح واحد ممن ترجموا لابن القوطية بأسماء من رَووا عنه ، إلا ماجاءَ عَرَضًا من سماع ابن الفَرضى عنه لكتاب الكامل للمبرد ، وإلا ماجاءَ تصريحًا على لسان القفطى إذ يقول : وروى عنه القاضى أبو الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخير الوشقى.

* * *

ولقد قرأتَ فى ثنايا ماقدَّمنا عن الرجل أنه كان شاعرًا ، وأنه كان جيد الشعر واضح المعانى حسن المطالع والمقاطع.

غير أن ابن فرحون يقول ، بعد ماقال هذا عنه : إلا أنه تركه ، يعنى الشعر ، ورفضه ، مُؤْثرًا ماهو أولى منه . ويبدو أن هذا كان لما كبر ابن القوطية وأسنَّ .

* * *

ويحكى أبو بكر يحي بن هُذيل التميمى الشاعر أنه توجه يومًا إلى ضَيعة له بسفح جبل قرطبة ، فصادف أبا بكر بن القوطية صادرًا عنها ، وكانت له أيضًا هناك ضيعة .

يقول ابن هذيل : فلما رآنى عَرّج على واستبشر بلقائى ، فقلت له على البديهة مداعبا له :

من أين أقبلت يامَنْ لاشَبِيهَ له ومَنْ هو الشَّمْسُ والدُّنيا له فَلَكُ

يقول ابن هذيل : فتبسم وأجاب بسرعة :

من منزل تعجب النُّسَّاكَ خَلوته وفيه سَتْرٌ على الفُتَّاك إن فَتَكوا

يقول ابن هذيل : فما تمالكت أن قَبَّلت يده ، إذ كان شيخي .

ويبدو أن هذا اللّقاء كان بعد عودة ابن القوطية من إشبيلية إلى قرطبة .

ومما يُروى لابن القوطية من شعر قولَه فى الربيع :

ضَحك الثَّرى وبدا لك استبشارُه　　واخضرَّ شاربُه وطَرّ عذَارُهُ
وَرَنتْ حدائقُــه وآزر نَبْتُــه　　وتفطَّـرت أنوارُه وثِمــارُه
واهتزّ ذابلُ كُلِّ ماء قَــرارة　　لمَّا أَتى متطلِّعًــا آذارُه
وتَعممتْ صُلْع الرُّبى بِنباتهــا　　وترنَّمت عن عُجْمَة أطيارُه

وكذا يُروى له :

ضُحًى أناخُوا بوادى الطَّلْح عِيرَهُمُ　　فأوردوها عشــاءً أىَّ إيرَاد
أَكْرِم به واديًا حَلَّ الحَبيبُ به　　مابَين رَنْدِ وصَفْصاف وفِرْصَاد
ياواديًا سارَ عنه الرَّكْبُ مُرْتَحِلاً　　بالله قُل أَين سار الرَّكْبُ ياوادِى
أَبالحَمى نَزلُوا أَمْ باللِّوى عَدَلُوا　　أَم عنك قد رَحَلُوا خُلْفًا لِميعادِى
بانوا وقد أَوْرَثُوا جِسْمِى لِبيْنِهِمُ　　سُقْمًا وقد قَطعوا بالبَيْن أَكْبادى

وأنشد له أبو سعيد بن دوست ، ويبدو أن ابن القوطية قال هذا الشِّعر فى الناصر :

يا من يُجَرِّد من بصيرته　　تَحت الحَوادث صارِمَ العَزمِ
رُعْت العَدُوَّ فَمَــا مَثَلْتَ له　　الا تَفَزَّع منك فى الحُــلم
أَضحى لك التَّدبيرُ مُطَّرِدًا　　مثل اطِّراد الفعل للإِسم

رَفع العدوُّ إليك ناظـرَه   فرآك مُطَّلعًـا مع النَّجْم

* * *

وإذ كان ابن القوطية أكثر اتصالاً باللغة وفروعها ، لذا كانت الكثرة من مؤلفاته فى هذا الميدان ، أَعنى ميدان اللغة ، والقلَّة من هذه المؤلفات فى غيرها .

وعلى الرغم من أَنه كان عالم الأَندلس فى أَيامه ، وبه فَخر الناصر صاحبُ الأَندلس ، وله شهد القالى ، غير أَنه لم يترك إلا القليل الذى لا يُذكر من المؤلفات ، التى لا تتفق وهذا العلم الغزير ، وذلك العمر المديد الذى عاشه .

* * *

ولقد أَحصت له كتب التراجم جملة من المؤلفات ، وهاهى ذى كما أَحصتها كُتب التراجم :

١ ـ الأَفعال وتصاريفها ، وهو يُعد أَولَ مصنف فى هذه البابة ، ثم تبعه ابن القطَّاع فرتب كتابه على نمط كتاب ابن القوطية ، وذكر ما لم يذكره ابن القوطية من الرباعى والخماسى .

ومن هذا الكتاب ، كتاب الأَفعال لابن القوطية ، مخطوطة فى مكتبة مراد ملا ، برقم (١٧٩٠). وقد نشره المستشرق جويدى ، وطبعت طبعته الأُولى فى مدينة ليدن سنة ١٨٩٤ م .

٢ ـ المقصور والممدود ، وقد جمع فيه ابن القوطية فأَوعى مما لايحد ولايوصف ، ولقد أَعجز من يأتى بعده ، وفاق من تقدمه .

بهذا نطقت المراجع ، وما أظن من سبق بها إلا قال هذا عن رؤية ومعاينة ، وما نملك نحن أن نقول عن هذا الكتاب شيئًا ، لأنا نفقده فيما نفقد من كتب المكتبة العربية .

ولقد سبق ابن القوطية فى هذه البابة كثيرون ، منهم :

الفراء ، المتوفى سنة سبع ومائتين (٢٠٧ ﻫ) .

والأصمعى ، المتوفى سنة ست عشرة ومائتين (٢١٦ ﻫ) .

واليزيدى ، المتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين (٢٢٥ ﻫ) .

والسجستانى ، المتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين (٢٢٥ ﻫ) .

وابن عبيد ، المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين (٢٧٣ ﻫ) .

والمبرد ، المتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين (٢٨٥ ﻫ) .

والأنبارى ، المتوفى سنة أربع وثلثمائة (٣٠٤ ﻫ) .

والزجاج ، المتوفى سنة عشر وثلثمائة (٣١٠ ﻫ) .

وابن شقير ، المتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة (٣١٧ ﻫ) .

وابن دريد ، المتوفى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة (٣٢١ ﻫ) .

والخزاز ، المتوفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة (٣٢٥ ﻫ) .

وابن الأنبارى ، المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (٣٢٨ ﻫ) .

وابن ولاد ، المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (٣٣٢ ﻫ) .

وابن درستويه ، المتوفى سنة سبع وأربعين وثلثمائة (٣٤٧ ﻫ) .

وابن مقسم ، المتوفى سنة خمس وخمسين وثلثمائة (٣٥٥ هـ) .

وكلهم من أئمة اللغة كما ترى ، وما ندرى كيف فاق ابن القوطية بتأليفه ذاك هؤلاء .

ولقد جاء بعد ابن القوطية جملة من شيوخ العربية كان لهم هم الآخرون فى هذه البابة تآليف ، نذكر منهم :

ابن خالويه ، المتوفى سنة سبعين وثلثمائة (٣٧٠ هـ) .

وابن حمزة ، المتوفى سنة خمس وسبعين وثلثمائة (٣٧٥ هـ) .

والفارسى ، المتوفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة (٣٧٧ هـ) .

وابن جنى ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة (٣٩٢ هـ) .

ثم ابن هبيرة ، المتوفى سنة ستين وخمسمائة (٥٦٠ هـ) .

ولابن مالك فى ذلك منظومة ثم شرح ، وكانت وفاة ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة (٦٧٢ هـ) .

وهؤلاء هم الآخرون من فحول اللغة كما ترى .

٣ـ شرح أدب الكاتب ، كذا ذكرته المراجع ولم تفصح ، فثمة كتب تحمل هذا الاسم «أدب الكاتب» ، وضعت قبل ابن القوطية ، وهى :

(أ) أدب الكاتب ، لابن قتيبة ،المتوفى سنة سبعين ومائتين (٢٧٠ هـ) .

(ب) أدب الكاتب لابن دريد ، المتوفى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة (٣٢١ هـ)

(ج) أدب الكاتب لابن الأنبارى ، المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (٣٢٨ هـ) .

(د) أدب الكاتب للصولى ، المتوفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة (٣٣٥ هـ) .

(هـ) أدب الكاتب للنحاس ، المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (٣٣٨ هـ) .

ولا ندرى أى كتاب من هذه الكتب شرحه ابن القوطية ، فالمراجع لا تذكر شيئاً عن هذا ، وإن كان ثمة منها مايقال له : أدب الكتاب .

وهذه الكتب الثلاثة — أعنى : الأفعال وتصاريفها ، والمقصور والممدود ، وشرح أدب الكاتب ، كلها فى اللغة ومايتصل بها ، وهذا هو الذى حملنا على أن نقول قبل : إن جل مؤلفات ابن القوطية ، على قلتها ، فى اللغة .

٤ — ثم تاريخ فتح الأندلس ، وهو ما سنخصه بكلام مستقل بعد قليل .

* * *

ولقد كانت وفاة ابن القوطية سنة سبع وستين وثلثمائة ، على هذا أجمع من أرخوا له ، بعد حياة طويلة وعمر مديد ، مما جعلنا نرجح أن مولده كان فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى .

ولقد كانت وفاة ابن القوطية بقرطبة ، وهذا يعنى أنه كان قد عاد إليها بعد إقامته بإشبيلية مدة لا ندرى مداها ، فبقرطبة نشا ابن القوطية وبها مات ، ويبدو أنه كان قد أعد العدة لأن تكون قرطبة مقامه ومثواه ، يدلنا على هذه حديث الضيعة التى كان قد اشتراها بقرطبة ، والتى مر ذكرها قبل .

التعريف بالكتاب

تاريخ الأندلس

وهذا الكتاب ذكره ياقوت فى كتابه إرشاد الأريب (معجم الأدباء) ، وتبعه إسماعيل البغدادى فى كتابه : هدية العارفين ، غير أنه كما ذكره ياقوت باسم : تاريخ الأندلس ، كذا ذكره إسماعيل البغدادى .

ولم يذكره لاباسمه هذا ولاباسم غيره تلميذ ابن القوطية ، وهو ابن الفرضى ، فى كتابه : تاريخ علماء الأندلس .

ولقد تبع ابن الفرضى فى هذا ابن فرحون فى كتابه : الديباج المذهب ، وابن خلكان فى كتابه : وفيات الأعيان ، والقفطى فى كتابه : إنباه الرواة ، والسيوطى فى كتابه : البغية .

ولاندرى من أين جاء هذا الكتابَ هذا الاسم «تاريخ افتتاح الأندلس» وعدل عن اسمه الذى ذكره مؤرخ قديم هو ياقوت .

وأكاد أظن أن هذه التسمية «تاريخ افتتاح الأندلس» جاءت استئناسا بتسمية سبقتها فى كتاب «أخبار مجموعة» ، إذ مع هذا العنوان : «فى فتح الأندلس» أو «فى افتتاح الأندلس» .

ولا ندرى لم أغفل ذكر هذا الكتاب ابن الفرضى ، وهو أقرب

الموصولين بشيخه ابن القوطية . ولو أنه ذكره لأغنانا عن الحدس حول اسمه .

لا أظن أن اعتماد ابن القوطية فى كتابه هذا على النقل من مصدرين ، صرّح بهما ، كان هو السبب فى ذلك ، فظن ابن الفرضى أن الكتاب لغير ابن القوطية ، وهذان الكتابان هما :

(أ) كتاب لعبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى فى فتح الأندلس .

(ب) وأرجوزة لتمام بن علقمة الوزير فى هذا الموضوع .

وقد تردد اسم عبد الملك بن حبيب فى هذا الكتاب — أعنى تاريخ افتتاح الأندلس — فى عشرة مواضع (١) ، كما تردد اسم تمام بن علقمة فى أربعة مواضع (٢) ، أبينها صراحة فى النقل عنهما ماجاء فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب من قول ابن القوطية : وهذا الخبر فى كتاب عبد الملك بن حبيب فى فتح الأندلس فى أرجوزة تمام بن علقمة الوزير ، أو أكثره .

ومابعد هذا الموضع من مواضع أخرى خاصة بالشق الأول — أعنى النقل عن ابن حبيب — فيقول فيها ابن القوطية : وقال عبد الملك بن حبيب أو لعل ماجاء فى هذا الكتاب — تاريخ افتتاح الأندلس — من ذكر هذه الكلمة « الخ » فى أكثر من موضع ، لاسيما فى الصفحات الأولى، يشير إلى هذا النقل عن كتاب ابن حبيب .

---

(١) انظر فهرست هذا الكتاب .

(٢) انظر فهرست هذا الكتاب .

أما عن المواضع الخاصة بالشق الثانى — أعنى النقل عن تمام — فليس فيها تصريح بنقل ، بل جاء فيها اسم تمام بن علقمة بين الأحداث التى وقعت .

وسياق عبارة ابن القوطية الأولى تدل على أنه كانت ثمة أرجوزة لتمام بن علقمة الوزير فى التأريخ لفتح الأندلس ، وأن عبد الملك ابن حبيب نثر هذه الأرجوزة وعرض أحداثها بأسلوب المؤرخ العالم ، مستأنسًا فيما يذكر من عرض بأقوال من سلفوا فى هذا الميدان ، يعزو إليهم مانقل عنهم أو ماسمع منهم ، فتقرأ مرة فى موضع من هذه المواضع : وقال عبد الملك بن حبيب يرفعه إلى على بن رباح ، وتقرأ أخرى فى موضع آخر : وقال عبد الملك بن حبيب عن الليث بن سعد .

فكان من هذا العرض ذلك الكتاب الذى ينسب لعبد الملك بن حبيب فى فتح الأندلس .

ولكن عبارة ابن القوطية لا تعنى أنه أفرغ مافى عرض عبد الملك ابن حبيب فى كتابه تاريخ فتح الأندلس ، بل هكذا يفعل كل مؤلف مسبوق بتأليف فى الميدان الذى يؤلف فيه ، إذ عليه أن يستعين بما كتب قبل ، وإلا اتهم بالتفريط ،كما عليه أن يشير إلى من نقل عنهم ، وهكذا فعل ابن القوطية فى كتابه هذا وهو ينقل عن عبد الملك بن حبيب ، فلم يترك موضعا من المواضع التى نقل فيها عن ابن حبيب إلا ذكره وصرح به .

فقول من يقول إن ابن الفرضى أغفل ذكر هذا الكتاب بين كتب

ابن القوطية التى ذكرها له ، ظنًا منه أن الكتاب ليس له ، وأنه لايعدو أن يكون أحاديث مجموعة من كتاب عبد الملك بن حبيب ، رواها ابن القوطية ونقلها عنه واحد من تلاميذه ، أى تلاميذ ابن القوطية ، فنَسب الكتاب إلى ابن القوطية من نَسب ، وأغفل هذه النسبة مَن أغفل ، قول جدير بأن يؤخذ به .

فتصدير الكتاب يقودنا إلى جديد ، يؤيد هذا ، ففى هذا التصدير : أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثنا غير واحد من علمائنا ، منهم : الشيخ محمد بن عمر بن لبابة ، ومحمد بن سعيد ابن محمد المرادى ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، ومحمد بن زكريا ابن الطنجية الإشبيلى ، عن شيوخهم .

وهذه العبارة تعنى :

١ ـ أنه ثمة مُخْبِرٌ أخبر عن ابن القوطية عمن أخبر عنهم ابن القوطية .

٢ ـ وأنه ثمة شيوخ آخرون شاركوا فى الإخبار بما هو وارد فى هذا الكتاب .

٣ ـ وأن هذا المُخبر الذى تلقى عن ابن القوطية ماتلقاه ابن القوطية عن شيوخه هو الذى كانت له نظرة فى كتاب ابن حبيب ، وهو الذى عقّب بقوله « وهذا الخبر فى كتاب عبد الملك بن حبيب فى فتح الأندلس فى أرجوزة تمام بن علقمة الوزير ، أو أكثره » .

٤ ـ وأن هذا المخبر كما أضاف هذه فى هذا الموضع ، ليوازن بين

ماسمعه عن شيخه ابن القوطية وبين ماجاء فى كتاب ابن حبيب ، أضاف إلى مايروى عن شيخه ابن القوطية إضافات أُخرى عن عبد الملك بن حبيب ، وكان حريصًا على أن يشير إلى هذا النقل فى مواضعه بقوله : وقال عبد الملك بن حبيب .

٥ ـ وأن هذا المخبر عن ابن القوطية ، كما أَضاف عن كتاب ابن حبيب أضاف عن غيره ، مثل ما نقله عن أحمد الرازى فى تاريخه عن عبد الملك بن حبيب .

٦ ـ ثم إن هذه العبارة التى فى صدر الكتاب لم يرد فيها فيمن يروى عنهم ابن القوطية ذكر لعبد الملك بن حبيب مرويًا عنه .

وهذه كلها تكاد تدلنا على أن المخبر عن ابن القوطية جمع فى هذا الكتاب ما أخبره به شيخه ابن القوطية عن شيوخه الذين لم يذكر من بينهم ابن حبيب ، وضم إلى ذلك مالابن حبيب فى كتابه « فتح الأَندلس » وما رواه عن ابن حبيب غيرُه ، مثل أحمد الرازى فى تاريخه .

* * *

هذا وأُحب أن أضيف أَن عبد الملك بن حبيب كانت وفاته سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٢٣٨ هـ) .

كما أُحب أن أضيف أن جميع المراجع التى ترجمت لابن حبيب ، مثل :

١ ـ بغية الملتمس للضبى (ت : ٣٦٤) .

٢ – البيان المغرب لابن عذارى (٢ : ٢٠ ، ١٧١) .

٣ – تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (١ : ٢٢٥) .

٤ – تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ : ١١٧) .

٥ – تهذيب التهذيب لابن حجر (٦ : ٣٩٠) .

٦ – جذوة المقتبس للحميدى (ت : ٢٦٣) .

٧ – دائرة المعارف الإسلامية (١ : ١٢٩) .

٨ – الديباج المذهب لابن فرحون (ص : ١٦٣) .

٩ – طبقات الحفاظ للسيوطى (١ : ٣٣) .

١٠ – فهرست ابن خير (ت : ٢٠٢ ، ٢٦٥) .

١١ – مطمح الأنفس لابن خاقان (٣٦ – ٣٧) .

١٢ – لسان الميزان لابن حجر (٤ : ٥٩) .

١٣ – ميزان الاعتدال للذهبي (٢ : ١٤٨) .

١٤ – نفح الطيب للمقرى (١ : ٣٣١ .

فهذه الكتب كلها لم تذكر لعبد الملك بن حبيب كتابًا فى فتح الأندلس ، كما لم تذكر له شرحًا أو تعليقًا على أرجوزة تمام بن علقمة ، وما من شك فى أن هذا الذى نقله أحمد الرازى فى تاريخه كان عن شيء مروى أو مجموع لابن حبيب ، بدليل هذا النص الذى ذكرته قبل ، ثم ماذكره أحمد الرازى فى تاريخه ، كما نصَّ على ذلك فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب .

وبمكتبة بودليانا كتاب فى التاريخ يعزى لعبد الملك بن حبيب (٢ : ١٢٧ ، ٢٥٨) .

وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه ماقيل منذ بدء الخلق ، ثم الكلام على الأنبياء والخلفاء ، إلى عبد الملك بن مروان ،ثم تأريخ الأندلس إلى سنة خمس وسبعين ومائتين (٢٧٥ هـ) .

وما أظن هذا الكتاب هو الكتاب المعنى ، فإن العبارة التى سقناها قبل ، والتى تقول «وهذا الخبر فى كتاب عبد الملك بن حبيب فى فتح الأندلس فى أرجوزة تمام بن علقمة الوزير أو أكثره» تدل على أن الكتاب الذى لعبد الملك بن حبيب تعقيب على أرجوزة تمام ، وأرجوزة تمام هذه يبدو أنها حول الأندلس وفتحه ، وهذا الكتاب ، الذى تضمه مكتبة بودليانا فى التاريخ العام ، والكلام على الأندلس جزءٌ منه .

ومع أن هذا الكتاب الذى فى مكتبة بودليانا يحمل اسم عبد الملك ابن حبيب ، فثمة من يشك فى نسبته إليه ويعزوه إلى تلميذه ابن أبى الرقاع .

وأحمد الرازى هذا الذى روى لعبد الملك بن حبيب فى تاريخه ، هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازى ، المتوفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة (٣٢٥ هـ) .

ولعل تاريخه الذى أشير إليه فى أكثر من موضع من هذا الكتاب

هو : أخبار ملوك الأَندلس ، الذى ذكره المقرى فى النفح نقلاً عن ابن حزم (١) .

ثم إن لأَبى بكر أَحمد الرازى هذا كتاب آخر ، هو : صفة قرطبة وخططها ، وهو من هذه البابة أيضًا .

* * *

ومن هذا الكتاب — تاريخ افتتاح الأَندلس — أكثر من مخطوطة : ففى باريس منه .

مخطوطة برقم : ١٨٦٧ .

وفى ليدن منه مخطوطة برقم : ٩٩٦ .

وفى ميونيخ منه مخطوطة برقم : ٩٨٧ .

وفى القاهرة منه مخطوطة برقم : ٢٨٣٧ ، تاريخ .

وقد طبع هذا الكتاب للمرة الأُولى فى مدريد سنة١٨٦٨ م ، وعنى بنشره المستشرق ريبيرا ، ثم ترجمه المستشرق ريبيرا إلى الأَسبانية سنة ١٩٢٦ م .

وقد طبع الكتاب طبعة ثانية فى باريس سنة ١٨٨٩ م ، وعنى بنشره المستشرق هوداس . ثم طبع فى مصر طبعة مهملة التاريخ بمطبعة التوفيق .

* * *

(١) نفح الطيب (٢ : ١١٨) .

وهأناذا أعود فأنظر فى الكتاب نظرة أخرى لأُعيد طبعه طبعة محققة مجردة من الزيادات التى أُقحمت عليه .

فلقد أقحم عليه ريبيرا زيادات من كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة .

ولقد أغفل هوداس النص من تصويب وتعليق .

كما خلطت طبعة القاهرة به الكثير مما ليس له .

هذا إلى أن هذه الطبعات كلها تفقد :

١ – تعريفا بالمؤلف .

٢ – وتعريفا بالكتاب .

٣ – ثم هذه الفهارس الجامعة التى سألحقها به .

والله أسأل أن أكون مع التوفيق فى جميع ماصنعت ،،

إبراهيم الأَبيارى

المحرم ١٤٠٠هـ

نوفمبر ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال : حدَّثنا غيرُ واحد من علمائنا ، منهم : الشيخ محمدُ بن عمر بن لُبابة ، ومحمد ابن سَعيد بن محمد المُراديّ ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، ومحمد بن زكريا بن الطنجيَّة الإشبيلى ، رحم الله ، جميعهم ، شُيوخهم(١) : أن آخر ملوك القوط بالأندلس غَيْطشة ، تُوفى عن ثلاثة أولاد ، أكبرهم المَند ، ثم وقلة (٢)، ثم أَرطباش (٣) ، وكانوا صغارًا عند وفاة أبيهم ؛ فضبطت عليهم أمُّهم مُلْكَ أبيهم بطُليطلة ، وانحرف لذريق ، وكان قائدًا للملك أبيهم ، بمن يطيف (٤) به من رجال الحَرب ، فاحتل قرطبة .

فلما دخل طارقُ بن زياد الأَندلس ، أيام الوليد بن عبد الملك ، كتب لذريق إلى أولاد الملك غَيْطشة ، وقد تَرعرعوا وركبوا الخيل ، يَدعوهم إلى مناصرته (٥) ، وأن تكون أيديهم واحدةً على عدوهم ، وحشدوا الثغر ، وقدموا ونزلوا شَقُندة(٦) ومايطمئنون(٧) إلى لذريق بدخول قرطبة ؛

---

(١) الأصول : « رحم الله عن جميعهم من شيوخهم » .

(٢) الأصول : « رملة » . وماأثبتنا من نفح الطيب (١ : ٢٤٩) .

(٣) الأصول « أرطباش » : وما أثبتنا من نفح الطيب .

(٤) الأصول : « يطيق » . (٥) الأصول : « مناصرة » .

(٦) الأصول : « شقرندة » . (٧) الأصول : « ومايطمئنونه » .

فخرج إليهم ، ثم نهض للقاء طارق ، فلما تقابلت الفئتان أجمع المُنذ وأخواه على الغدر بلذريق ، وأرسلوا (١) فى ليلتهم تلك إلى(٢) طارق يُعلمونه أَن لذريق إنما كان كلبًا من كلاب أَبيهم وأَتباعه ، ويسأَلونه الأَمان ، على أَن يخرجوا إليه بالصباح ، وأَن يُمْضِى لهم ضِياع أَبيهم بالأَندلس ، وكانت ثلاث آلاف(٣) ضيعة ، سُمِّيت بعد ذلك : صفايا الملوك .

فلما أَصبحوا انحاشوا (٤) بمن معهم إلى طارق ، فكانوا سبب الفتح ، فلما وصلوا إليه قالوا له : أَنت أَمير نفسك أَم على رأْسك أمير ؟ قال لهم : بلى ، على رأْسى أَمير ، وعلى الأَمير أَمير ، وأَذن لهم باللحاق بموسى بن نصير بإفريقية ليؤكد سَببهم به ، وسأَلوه الكتابَ إليه بشأْنهم معه ، وما أَعطاهم من عهده ، ففعل .

وساروا نحو موسى ، فتلقَّوْه فى انحداره إلى الأَندلس على قرب من بلاد البربر ، بكتاب طارق بما كان من إجابتهم إلى الطاعة ، وماشَرط لهم ، فوجَّههم موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك ، ووصلوا إليه وأنفذ لهم عهد طارق بن زياد ، وعقد لكل واحد منهم بذلك سجلاًّ ، وكانت سجلاتهم : أَلا يقوموا إلى داخل عليهم ولا إلى خارج منهم .

وقدموا الأَندلس ، وكانوا بهذا الحال ، إلى أن توفى المُنذ ، وخَلَّف(٥) ابنة ، وهى سارة القوطية ، وابنين صغيرين (٦) ، أَحدهما :

---

(١) الأصول : « وأوصوا » وانظر النفح (١ : ٢٤١) .

(٢) الأصول : « على » .

(٣) الأصول : « الألف » .

(٤) الأصول : « انحاسوا » .

(٥) الأصول : « وتخلف » .   (٦) الأصول : « صاغرين » .

المطران بإشبيلية ، وعباس المتوفى(١) بجلّيقية ، فبسط أرطباش (يده)(٢) إلى ضيَعهم فقبضها إلى ضياعه (٣) ، وذلك (٤) فى أول ولاية هشام ابن عبد الملك .

فأَنشأَت مركبًا بإشبيلية .

وكان أَبوها المُنذ قد آثر سُكنى إشبيلية ، وصار له من الضيع ألف ضيعة بغرب الأَندلس ، وصار لأَرطباش مثلها فى وسط الأَندلس، ولزم سكنى قرطبة .

ومن نسله : أَبو سعيد القَومس .

ولأَرطباش أَخبار عقيلة (٥) دارت بينه وبين عبد الرحمن بن معاوية ، وبين الشاميين الداخلين مع الأمويين والعرب ، رويناها عن العلماء ، وسنذكرها فى موضعها ، إن شاءَ الله تعالى .

وصار لوقلة ألف ضيعة بشرق الأَندلس ، وكان آثر سكنى طليطلة . ومن نسله : حفص بن البر ، قاضى العجم .

ثم توجهت (٦) بأَخويها بمركَب إلى الشام حتى نزلت بعسقلان ،

---

(١) كذا .
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .
(٣) يقال فى جمع ضيعة : ضيع ، بكسر ففتح ، وضياع .
(٤) الأصول : « فكان » .
(٥) كذا .
(٦) يعنى : سارة .

ثم قصدت حى وقفت(١) بباب هشام بن عبد الملك ، فأنهت خبرها والعهد المنعقد لأبيها على الوليد ، وتظلمت من عمها أرطباش ، فأوصلها إلى نفسه ، ونظرت إلى عبد الرحمن بن معاوية صبيًّا بين يديه ، وكان عبد الرحمن يحفظ ذلك لها بالأندلس ، وكانت إذا أتت قُرطبة أذن لها فى دخول القصر إلى العِيال .

فكتب لها هشام إلى حَنظلة بن صفوان الكلبى ، عامل إفريقية ، بإنفاذ عهد الوليد بن عبد الملك ، ويَأمر بذلك عاملَه حُسام بن ضرار ، وهو أبو الخطَّاب الكَلبى ، فتم لها ذلك .

وأنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مُزاحم ، فقَدم معها الأندلس ، وقبض ضياعها ، وهو جدّ ابن القوطية ، وولد له منها ولدان : إبراهيم ، وإسحاق ، ثم تُوفى عنها فى العام الذى دخل فيه عبدُ الرحمن بن معاوية الأندلس ، فتنافسها (٢) حَيوة بن ملامس المذحجى ، وعمير بن سعيد اللَّخمى ، فعُنى ثعلبةُ بن عبيد الجُذامى بعُمير بن سعيد عند عبد الرحمن ابن معاوية ، فأنكحه إياها ، وولدت له : حبيبَ بن عُمير ، جدّ بنى سيد ، وبنى حجاج ، وبنى مسلمة ، وبنى حجز الجرز ، وهؤلاء أشراف ولد عُمير بإشبيلية ، إذ كان له أولاد من عيرها ، ولم يشرفوا شرف هؤلاء .

وهذا الخَبر فى كتاب عبد الملك بن حبيب فى فتح الأندلس ، فى أرجوزة تمام بن علقمة الوزير ، أو أكثره .

---

(١) الأصول : « وفقت » .

(٢) المسموع : تنافس فى .

وكان اجتماع طارق ولُذريق على وادى لكة (١) من شَذُونة ، فهزم الله لذريق ، وثَقَّل نفسه بالسلاح ، وترمَّى (٢) فى وادى لَكة (٣) فلم يُوجد .

ويقال : إنه كان للملوك القُوط بطليطلة بيت فيه تابوت ، وفى التابوت الأَربعة الأَناجيل (٤) التى يُقْسمون (٥) بها ، وكانوا يعظمون ذلك البيت ولايفتتحونه ، وكان إذا مات الملك منهم كَتب فيه اسمه ، فلما صار المُلك إلى لذريق حَمَل (٦) التاج ، فأَنكرت ذلك النصرانية ، ثم فتح البيت والتابوت بعد أَن نهته النصرانية عن فتحه ، فوجد فيه صور العرب متنكِّبة قِسيّها ، وعمائمها على رؤوسها ، وفى أَسفل العيدان مكتوب : إذا فُتح هذا البيت وأُخرجت هذه الصور دخل الأَندلس قومٌ فى صورهم فغَلبوا عليها .

وكان دخول طارق الأَندلس فى رمضان سنة اثنتين وتسعين ، وكان سبب دخوله الأَندلس أَن تاجرًا من تجَّار العجم ، يسمى : يليان ، كان يختلف من الأَندلس إلى بلاد البربر ، وكانت طنجة ... (٧) عليها ،

---

(١) كذا فى نفح الطيب (٤ : ٢٤٢) ، ومعجم البلدان (٤ : ١٦١) . وفى الأصول : « بكة » .

(٢) لعلها : « وتردى » ، أى سقط ووقع .

(٣) الأصول : « بكة » . انظر الحاشية (رقم : ١ من هذه الصفحة) .

(٤) الأصول : « الانجيلة » .

(٥) الأصول : « يقتسمون » .

(٦) الأصول : « جعل » .

(٧) بياض بالأصول .

وكان أَهل طنجة على النصرانية ... (١) ، ويجلب إلى لذريق عتاق الخيل والبُزاة من ذلك الجانب ، فتوفيت (٢) زوجة التاجر ، وتركت له ابنة جميلة ، فأَمره لذريق بالتوجه إلى العُدوة ، فاعتذر له بوفاة زوجته ، وأنه ليس له أَحد يترك ابنته معه ، فأَمر بإدخالها القصر ، فوقعت عين لذريق عليها ، فاستحسنها (٣) فنالها ، فأَعلمت أَباها بذلك عند قدومه ، فقال للذريق : إنى تركت خيلاً وبزاة لم ترَ مثلها ، فأَذن له فى التوجه فيها ، وبعث معه المال ، وقصد طارقَ بن زياد ، فرغَّبه فى الأَندلس ، وذكر له شرفها وضَعف أَهلها ، وأَنهم ليسوا أَهل شجاعة .

وكتب طارق بن زياد إلى موسى بن نُصير يُعلمه بذلك ، فأَمره بالدخول ، فحَشد طارق ... الخ (٤) .

فلما دَخل السفن مع أَصحابه غلبتْه عينه ، فكان يرى فى نومه النبي ، صلى الله عليه وسلَّم ، وحوله المهاجرون والأَنصار قد تقلَّدوا السيوف وتنكَّبوا القسىّ ، فيمرُّ النبي ، عليه السلام ، بطارق فيقول له : تقدْم لشأنك .

ونظر طارق فى نومه إلى النبي وأَصحابه حتى دخلوا الأَندلس ، فاستبشر وبشَر أَصحابه ، الخ (٥) .

---

(١) بياض بالأصول . (٢) الأصول : « فتوفت » .

(٣) الأصول : « فاستحسن بها » .

(٤) كذا وردت هذه الكلمة هنا وفى مواضع أخرى من الكتاب ستأتى . وظاهر أن المراد بها الاجتزاء بالمنقول من المصدر الذى نقل عنه المؤلف .

(٥) انظر الحاشية السابقة .

فلما جاوز طارق وصار بعُدوة الأندلس ، كان أول ما افتتحه مدينة قرطاجنَة ، بكورة الجَزيرة ، فأمر أَصحابه بتَقطيع من قتلوه من الأسراء، وطَبخ لحومهم بالقدور ، وعَهد بإطلاق من بقى من الأسراء ، فأخبر المنطلقون بذلك كلٌّ من لقوه . فملأ الله قلوبهم (١) رُعْبًا .

ثم تقدم فلقى لُذريق ، فكان ماتقدَّم ذكره .

ثم تقدم إلى إسْتِجَة ، وإلى قرطبة ، ثم إلى طليطلة ، ثم إلى الفَج المعروف بفَج طارق ، الذى منه دخل جِلِّيقيّة . فخرق جلِّيقية حتى انتهى إلى استُرقة .

فلما بلغ موسى بنَ نُصير ماتيسَّر له حَسده على ذلك ، وقَدِم فى حَشْد كثير ... (٢) به ، فلما صار فى ساحل العُدوة ترك المدخل الذى دخل منه طارق بن زياد وقصد الموضع المعروف بمُرْسَى موسى ، وترك طريق طارق ، وأخذ فى ساحل شَذونة ، وكان دخوله بعد طارق على سنة (٣) ، وتقدم إلى شَذونة ، ثم إلى إشبيلية فافتتحها ، ثم قصد من إشبيلية إلى لَقُنْت ، إلى الموضع المعروف بفجّ موسى ، فى أول لَقُنْت ، إلى ماردة .

فقال بعض أهل العلم : إنَّ أهل ماردة صالحوه ، ولم يأخذهم عنوة ، وتقدم فدخل جلِّيقية من فج هو مَنسوب إليه ، فخرقها حيث دخلها ،

---

(١) الأصول : « قلوبها » .

(٢) بياض بالأصول .

(٣) يريد : بسنة .

ووافى طارقا باسترقة ، ثم أتاهما عَهدُ الوليد بن عبد الملك بالانصراف ، فانصرفا ، وقد دار بينهما اختلاف.

وشد (١) موسى بن نصير حصون الأندلس ، واستخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس وأسكنه إشبيلية ، وخلَّف معه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهرى ، وأقام عبد العزيز يفتتح مابقى عليه من مدائن الأندلس .

وتوجّه موسى بن نصير ، ومعه من أبناء الملوك العجم أربعمائة ، على رؤوسهم تيجان الذهب ، وفى أوساطهم مناطق الذهب ، فلما قرب من الشام اعتلّ الوليدُ العلَّة التى منها مات ، فأوصى إليه سليمانُ : توقّف فى السير ليكون دخولك فى أيامى ، فإن أخى لما به . فقال موسى ، وكانت فيه صلابة وعنده شُكر للنعمة ، لرسوله : والله لافعلت ، حَسبي أن أسير سَيْرى ، فإن جرى المقدور بموت ولىّ النعمة عندى قبل وصولى إليه كان مايُريد .

فلما صار الأمر إلى سليمانَ حَبس موسى بن نصير وأغرمه ، وعهد إلى خمسة نَفر من وجُوه العرب بالأندلس بقَتل ابنه عبد العزيز ، منهم حبيبُ بن أبى عُبيدة الفهرى ، وزياد بن النابغة التّميمى ، فقصدوا إليه ... (٢) ، فلما أصبح خَرج إلى مسجد ، وصار فى المحراب ، وقرأ بفاتحة الكتاب وسورة الواقعة ، فرفع القوم سيوفهم عليه بمرة ، وأخذوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان .

---

(١) كذا . (٢) بياض بالأصول .

وكان ذلك بمسجد رُبينة المشرف على مَرج إشبيلية ، إذ كان ساكنا في كنيسة رُبينة ، وإذ كان نَكح امرأة من القوط تُسمى : أُم عاصم ، كان يسكن معها في هذه الكنيسة ، وكان قد ابتنى على بابها المسجد الذى قتل فيه ، وكان دمُه فيه على عهد قريب .

وبَعث سليمانُ في موسى بن نُصير ، لما ورد عليه الرأس وأراه إياه في طست ، فقال له موسى : والله لقد قتلتَه صوّاما قوّاما .

ولم يُنْكر لسليمان في خلافته ، ولم يدرك عليه ، غير مافعله بموسى .

وكان قتله في آخر سنة ثمان وتسعين .

ومكثوا سنين لايجمعهم والٍ ، إلا أن البربر قدَّموا على أنفسهم أَيوبَ بن حَبيب اللَّخمى ، ابن أُخت موسى بن نُصير .

ولأَيوب هذا عَقِبٌ بجانب بِنَّة (١) ، من كورة رَيَّة .

ثم إنَّ سليمان بن عبد الملك وَلَّى إفريقية وما وراءها من المغرب عبدَ الله بن يزيد ، مولى قيس ، بعد سُخطه على موسى بن نُصير وعَزْله إياه عن إفريقية وما وراءها من المغرب ... الخ (٢) .

فولَّى عبدُ الله بن يزيد على الأَندلس الحُرَّ بن عبد الرحمن الثقفى ، وكانت الأَندلس يومئذ بلا والٍ ، ووالى إفريقية يولِّى على الأَندلس من أَحَبّ .

---

(١) بنة ، بكسر أوله . (معجم البلدان : ١ : ٧٤٧) .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٣٤) .

فلم يَزل الحرُّ بن عبد الرحمن على الأندلس حتى استُخلف عمرُ بن عبد العزيز ، رحمه الله ، فبَعث السَّمْحَ بنَ مالك الخولانى واليًا على الأندلس ، وبعث إسماعيلَ بن عبد الله ، مولى بنى مخزوم ، واليًا على إفريقية .

وكان عمرُ بن عبد العزيز ، رحمه الله ، قد عَهد إلى السَّمح بإجلاء المسلمين من الأندلس (١) إشفاقًا مما (٢) دخل عليهم ، إذ (٣) خشى تغلُّب العدو عليهم ، فكَتب إليه السمحُ بن مالك يُعرِّفه بقُوة الإسلام ، وكثرة مدائنهم ، وشَرف معاقلهم ، فوجَّه حينئذ جابرًا مولاه ليخمِّس الأندلس ، فنزل بقُرطبة ... (٤) المقبُرة والمصلى فى الربض ، ثم أتته وفاة عمر ، رضى الله عنه ، فرفع يده من التَّخميس ، وبنى القنطرة على وادى قُرطبة فيما يُقابل الخزان .

فلما وَلى يزيدُ بن عبد الملك الخلافةَ ولَّى بِشْر بن صَفوان على إفريقية ، فولَّى بشرُ بنُ صفوان على الأندلس عَنْبسة بن سُحيم الكَلبى ، ثم وَليها بعدَ عَنبْسةَ يَحيى بنُ سَلاَمَة الكَلْبى ، ثم عُثمانُ بنُ أَبى نسعة الخَثْعمى ، ثم حُذيفة بن الأَحوص القَيْسى ، ثم الهَيثم بنُ عبد الكافى ، ثم عبدُ الرحمن بن عبد الله الغافقى ، ثم عبد الملك بن قَطن الفَهْرىّ .

---

(١) الأصول : « بإجلاء الأندلس من الإسلام » .
(٢) الأصول : « من دخل » .
(٣) الأصول : « إذا » .
(٤) بياض بالأصول .

وزعم عبدُ الرحمن بن عبد الله أَنَّ ولاية جدّهم عبد الرحمن الأَندلس كانت من قِبَل يزيد بن عبد الملك ، لا مِن قبل عامل إفريقية ، وبأَيديهم بذلك ظَهِير .

وسُكناهم بِمرسانة الغافقيين، من شَرف (١) إشبيلية ... الخ (٢) .

ثم وَلِى هشامُ بن عبد الملك الخلافة ، فولَّى على إفريقية عُبيد الله ابن الحَبْحاب (٣) ، مولى بنى سَلول بن قَيْس ، فولى عبيدُ الله على الأَندلس عُقْبَةَ بن الحجَّاج السَّلولى ، وذلك سنة عشر ومائة ، فلم يَزل عليها حتى انتقضت البربرُ بطَنجة على عُبيد الله بن الحَبْحاب (٣) ، وثاربهم ميسرةُ ، المعروف بالحقير ، بائع الماء ، بسوق القيروان ، فقتلوا عاملَهم عمر بن عبد الله المُرادى ، فلما بلغ أَهل الأَندلس ثورةُ البربر بطنجة ثاروا على واليهم عُقبة بن الحجَّاج فخلعوه ، وكان القائم بذلك عبدُ الملك بن قَطن الفِهْرىّ ، فولى الأَمر ، ولم يَخلع دعوةً ولا طاعة ، ودانت له الأَندلس .

ثم إن هشام بن عبد الملك عَزل ابن الحبحاب (٣) عن إفريقية وما وراءَها من المغرب ، وولَّى عليها كُلْثومَ بن عِياض القَيْسى ، وأَمره بقتل البربر ، وجَعل الأَمر بعده إلى ابن أَخيه بَلْج بن بشر القُشيرى ، إن هو أصيب ، وجَعل الأَمر بعد بَلْج ، إن أُصيب ، إلى ثَعْلبة بن سَلامة العاملى .

---

(١) شرف إشبيلية : جبلها .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٤ : ص : ٣٤) .

(٣) الأصول : « الحبحب » .

فقدم كلثوم إفريقية ومعه ثلاثون ألفًا ، عشرة آلاف (١) من (موالى) (٢) بنى أُمية ، وعشرون ألفًا من بيوتات العرب ، كانوا يجدون فى الرِّوايات انقطاعَ دولتهم وولاية بنى العباس ، وأَنَّ مُلك بنى العباس لايجاوز الزَّاب ، فتوهموه زاب مصر ، وكان زابَ إفريقية ، فلم تجاوز طاعةُ بنى العباس طُبْنة(٣) وما حولها .

وأمر كُلثومُ بتَثقيف(٤) أَمر إفريقية ، فثقَّفها جهده ، ثم ناهض البربر ، وقد تجمعوا إلى حُميد الزَّناتى ، ومَيسرة الحقير ، المتقدم ذكره ، فاجتمعوا بمَوضع يُقال له : نَفْدُورة ، فدارت بينهم حربٌ عظيمة ، ذهب فيها كُلثوم وعشرة آلاف من الجيش ، وانصرف عشرة آلاف إلى إفريقية ، كانوا بها من الجند الشاميين إلى أَيام يزيدَ بن حاتم ابن المهلب ، عامل المنصور ، ثم إنَّه أَلحقهم بالرعيَّة ، وجعل معهم الجند القادمين معه من عَرب خراسان ، وهم على ذلك إلى يومنا هذا .

وانْخزل بَلْجُ بنُ بشر فى عَشرة آلاف حتى نزل بمدينة طَنْجة ، وهى المعروفة بالخضراء ، منهم أَلفا مولًى وثمانية آلاف عربى ، وجَعلت العرب تحاصره وتحاربه ، فأَوصى إلى عبد الملك بن قَطن يَذكر ما دار عليه وعلى عَمه كُلثوم بن عياض ، ويسأَله أَن يَبعث إليه مراكب يُجَاز به عليها ، فشاور أَهل رأْيه فى ذلك ، فقالوا له : إن دخل عليك هذا الشامىّ عَزلك ، فلم يُجاوبه ، فلما يَئس منه أَنشأَ قِرْبات ، وأَخذوا

---

(١) الأصول : « ألفا » . (٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) طبنة ، بالضم : بلدة فى طرف إفريقية مما يلى المغرب . (معجم البلدان : ١ : ٥١٥) . (٤) تثقيف : إصلاح .

ماف المراكب من السلاح والعُدة (١) ، وانصرفوا بها إليه ، فدخل الأَندلس .

فحَشد الفِهْرىّ ، لما بلغه دخوله ، فلقيه فى جانب الجزيرة ، ودارت بينهم حربٌ عظيمة هُزم فيها الفِهْرىّ ، ثم عاود محاربته ، فهَزمه بَلْجٌ ، من الجزيرة إلى قُرطبة ، ثمان عَشرة هزيمة ، أُسر فى آخرها ، فصَلبه عند رأس القنطرة فى موضع المسجد ، ودَخل قرطبة .

وكان بأَربونة عبدُ الرحمن بن علقمة اللَّخمى عاملاً للفِهْرىّ ، فتعصب له إذ بلغه ما دار عليه ، وحَشد الثَّغر ، وشايعه (٢) على ذلك كثيرٌ من عرب الأَندلس وبربرها ، وقَدِم طالبًا ثأره ، فخرج إليه بَلْجٌ من قرطبة فى عشرة آلاف من الأمويين والشاميين ، وكان لعبد الرحمن بن عَلقمة أَربعون أَلفًا ، ودارت الحربُ بينهم فى قرية من قرى أَقوة برطورة ، من إقليم وَلبة ، فانجلت (٣) الحرب فى عشىّ النهار عن عشرة آلاف قتيل من أَصحاب ابن عَلقمة ، وعن أَلف من اصحاب بَلْج .

وقال عبدُ الرحمن بن علقمة : أَرونى بَلْجَهم ، وكان من أَرمى الناس بسَهم ، فأَرَوْه إيَّاه فى المُعترك ، فَفوّق إليه السهم فأَصاب كمَّ درعه ، ووصل السهم إلى جسمه ، وقال : أَمَّا بَلْجُهم فقد أَصبته .

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية : « قربات وأخذ من مراكب التجار وادخل فيها » .

(٢) الأصول : « وتشايعه » .

(٣) الأصول : « فانجلب » .

وانجلت الحرب ، ومات بَلْج فى اليوم الثانى ، وتولى أمر قرطبة والشاميين والأمويين ثَعْلبةُ بن سَلامة العاملى ، وانصرف عبدُ الرحمن ابن علقمة إلى الثغر .

وبَقِى عربُ الأَندلس وبَربرها يحاربون الأُمويين والشاميين ، ويتعصّبون لعبد الملك بن قطن الفهْرى ، ويقولون لأَهل الشام : بلدُنا يضيق بنا ! فاخرجُوا عنا ، فكانت الحربُ تدور بينهم(١) فى الكُدَى(٢) التى بقبلىّ قُرطبة .

فلما بلغ هشامَ بن عبد الملك النكبةُ الدائرة على كلثوم ، وما اتصل بذلك من فساد إفريقية والأَندلس ، شاور العبَّاس بن الوليد أخاه ، وكان أحلَّه فى الشورى محلَّ أخيه مسلمة بعدُ فى هذا الأمر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ليس يصلح آخر هذا الأَمر إلا بما صلح به أوله ، فاصرف نَظرك وحُسن رأيك ، إلى هذه القحطانية ، فقَبل منه ، ووافق ذلك ورُود أبيات كَتب بها أبو الخطَّار الكلبى من إفريقية إلى هشام :

أَفَأْتُم بنِى مروان قيسًا دماءَنا ... وَفى الله إن لم تُنْصفوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأَنكُمُ لم تشهدوا مَرْج راهط ... ولم تَعْلَموا مَن كان ثَمَّ له الفَضْلُ(٣)
وَقَيناكُم حَرَّ الوَغى بصُدورنا ... وليستْ لكُمْ خَيْلٌ تُعَدُّ ولارَجْلُ
فلمَّا رأيتُمُ واقدَ الحَرب قد خَبَا ... وطاب لكم منها المَشاربُ والأَكْلُ
تغافلتمُ عنَّا كأَنْ لم يَكُنْ لنـا ... بَلاءٌ وأَنتمْ ماعلمت لها فعْلُ

(١) الأصول : « منه » .

(٢) الكدى : الصحراء .

(٣) سيأتى الكلام على مرج راهط بعد قليل .

فلا تجْزعوا إن عَضَّت الحربُ مَرَّةً   وزَلّت عن المَرْقاة بالقَدَم النَّعْلُ
وإن رَثّ حَبْلُ الوَصل وانقطع القُوى   ألا رُبمّا يُلْوى فَينقطع الحَبل (١)

ولما وردته الأبيات منه وّلى حنظلة بن صفوان الكلبي على إفريقية ، وأمره أن يولِّى ابن عمه أبا الخَطَّار الأندلس ، ومعه سجلٌّ حنظلة بن صفوان عليها ، ومعه ثلاثون رجلاً ، وهى الطالعة الثانية من الشاميين ، وكان لواؤه فى سنٍّ داخل عَيبته . فلما نزل على وادى شُوش أصلح من شأنه وركَّب السن باللواء فى القناة ، ثم تقدَّم ، فلما أشرف من فَج المائدة ، والحربُ قائمة بين الشاميين والأمويين ، وبين البلديين والبربر ، ونظر الفريقان إلى اللواء ، خَلَّوا الحرب ، وأسرع كل واحد من الفريقين إليه ، فقال لهم : تَسمعون وتُطيعون ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم : هذا سجل حنظلة بن صفوان ابن عمى لى عليكم بعهد أمير المؤمنين إليه ، فقال أهل البلد والبَربر : سَمعنا وأطعنا ، ولكن لامَحمل فينا لهؤلاء الشاميين فليخرجوا عنا(٢) ، فقال لهم : أدخل قرطبة وأستريح ثم يكون ماتريدون ، فقد ظهر لى أمرٌ فيه صلاح جميعكم ، إن شاء الله .

ودخل قرطبة ووكّل على ثَعْلبة بن سلامة العاملى ، وعلى الوَّقاص ابن عبد العزيز الكنانى ، وعلى عُثمان بن أَبى نِسْعة الخَثعمى ، من يخرجهم من الأندلس ، وقال لهم : قد ثَبت عند أمير المؤمنين ، وعند عامله حنظلة بن صفوان ، أن فساد الأندلس بكم ، فخرجوا وخلَّفوها (٣) إلى طنجة .

---

(١) الأصول « الجهل » .
(٢) الأصول : « فيخرجوا عنا » .   (٣) الأصول : « وخلفوا » .

ونَظر فى إنزال الشاميين فى كور الأندلس ، وتَفريقهم عن قرطبة ، إذ كانت لاتحملهم ، فأنزل أهل دمشق بإلبيرة ، وأهل الأُردن بِريَّة ، وأهل فلسطين بشَذُونة ، وأهل حمص بإشبيلية ، وأهل قنسرين بجَيَّان ، وأهل مصر بباجة ، وقطيعًا منهم بتُدْمير .

وكان إنزالهم على أموال أهل الذِّمة من العجم ، وبَقِى البلديون والبربر على غنائمهم لم يَتنقصهم شيئا .

وأظهر أبو الخطَّار فى ولايته المَيل على المُضرية فتعصَّبوا عليه ، فأتوه إلى قُرطبة ، وهو على غير استعداد ، فخرج إليهم بمن معه ، فحاربهم بشَقُندة ، وكان رئيس المُضريَّة الصُّمَيل بن حاتم الكلابى ، فهُزم أبو الخطَّار وفُض جمعه ، ولجأ إلى بيت الرَّحَى بمُنْية نصر ، وأُخرج من تحت سرير الرَّحَى ، وأُتى بها الكلابىَّ فضَرب رقبته صَبْرًا .

وأجمعوا على يوسف بن عبد الرحمن بن حَبيب بن أَبى عُبيدة ابن عُقبة بن نافع الفِهْرى ، فولَّوه ، واتصلت ولايته سنين ، والصُّميل وزيره والمتغلِّب على أمره .

وأظهر الصُّميلُ التحامل على القَحطانية ، ففَرِحت قلوبهم بذلك ، فلم يَرعهم إلا إقبال بَدر ، مولى عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنهما ، وذلك أن بَدْرًا أَتى بوصية مولاه ، وقد استتر عند بنى وانسوس ، موالى عبد العزيز بن مروان ببلاد البربر ، فقصد أبا عثمان ، وهو شيخ الموالى يومئذ والمنظور إليه ، فنزل عليه بقَرية طُرَّش(١) ، فبعث أبو عثمان

---

(١) طرش ، بضم أوله وتشديد ثانيه . (معجم البلدان : ٣ : ٥٢٨) .

فى صهره عبد الله بن خالد ، فتكلّم معه فيما جاءَ به بدر ، وكان يُوسف الفهْرى على الخروج إلى دار الحرب غازيًا ، فقالا لبدر : تمَهَّلْ حتى تنقضى هذه الغَزاة ونَجتمع فيها مع أَصحابنا ، وكان يوسف يُسمى موالى (بنى (١)) أُمية : موالينا ، ويُظهر الميل إليهم ، فغزا معهما تلك الغَزاة ، واجتمعوا مع أَبى الصبَّاح اليَحْصُبى ، وهو شيخ اليمانية فى غرب الأَندلس ، ومسكنه قرية مُورِه (٢) ، من شَرَف إشبيلية ، ومع غَيره من سادات العرب ، فمنهم المتعصِّى ومنهم الراضى ، حتى انقضت الغَزاة وقفلوا عنها ، فأَمروا أَبا عَبدة حسَّان بن مالك بمُلاطفة أَبى الصبَّاح ، إذ كان ساكنًا معه بإشبيلية ، وأَن يُذكِّره بيد هشام بن عبد الملك عنده ، فكانت له عنده يدٌ كريمة ، فأَجاب ، ثم خاطبوا عَلقمة بن غياث اللَّخمى ، وأَبا عَلاقَة (٣) الجُذامىّ ، وهو جَدُّ فجيل الشجَّاع الشَّذُونى ، وزياد بن عمرو الجُذامى ، جدّ بنى زياد الشَّذونيين ، وكانوا رؤساءَ الشاميين بشَذُونة ، فأَجابوه ، ثم خاطبوا القَحطانيِّين بإلبيرة وجَيَّان ، مثل جدّ بنى أَضْحى (٤) الهَمْدانيين ، وجدّ بنى حسَّان ، وبنى عُمر ، أَصحاب وادى آش الغسَّانيين ، ومَيْسرة وقَحطبة الطائيين بجيَّان ، وخاطبوا الحُصين بن الدَّجْن العُقيلى ، للتباعد الذى كان بينه وبين الصّميل بن حاتم ، فلم يَمِلْ من المُضريَّة إلى عبد الرحمن

---

(١) تكملة يقتضيها السياق .

(٢) مورة ، بالضم ثم السكون وكسر الراء . (معجم البلدان : ٤ : ٦٧٩) .

(٣) الأصول : « أبا علافة » ، بالفاء .

(٤) الأصول : « أضخى » ، بالخاء المعجمة .

ابن معاوية غيرُه ، ولاطَمع فيهم ، لمَيْلهم إلى يُوسف بن عبد الرحمن ، من أَجل وَزيره الصُّميل بن حاتم ، ولِمَيلهما جميعًا على القَحطانية .

فلما تَمّ لهم ذلك قالوا لبدر : امْضِ فيه ، فلمَّا أَتاه بدرٌ بوصيّته(١). قال : ليس تَطيب نفسى على دخول الأَندلس إلا أن يكون معى واحدٌ منهم .

فانصرف بدرٌ إليهم بجوابه ، ويوسف بن عبد الرحمن خارج إلى حرب سَرَقُسْطة ، إذ كان ثار عليه فيها عامرٌ القُرشى العامرى ، وهو الذى يُنسب إليه بابُ عامر فى المدينة .

فقَدِم أَبو عثمان ، وعبدُ الله بن خالد، صهره ، قُرْطُبة لمشاهدة خروج يوسف ، وخَشِيا أَن يَطَّلعَ على الأَمر الذى حاولاه ، فدخلا على الصُّمَّيل ابن حاتم وسأَلاه أَن يُخْلِيَ نفسه لهما ، ففعل ، وذكّراه بأَيادى بنى أُمية عنده ، وعند سلفه ، وقالا له : إن عبد الرحمن بن معاوية نجَا إلى بلد البربر ، وهو مُستتر فيه خائف على نفسه ، وأَتتنا وصيتُه يسأَل الأَمان فى نفسه ، ويتوسَّل إليك بما قد علمته وأَنت ذاكرٌ له ، فقال : نعم وكَرامة ، ونضُم يُوسف هذا إلى أَن يزوِّجه ابنته ، ويُشركه فى سلطانه ، وإلا ضربنا صلعته بالسيف .

فخرجا عنه على ذلك ، فاجتمعا أَصحابُهما من الموالى بقُرطبة ، كيوسف بن بُخت ، وأُمية بن يزيد ، وغيرهم ، وعقدوا أَمرهم ، ثم عادا إلى الصُّميل ليودّعاه ، فقال لهما : فكَّرت فيما عرضتما علىّ فعلمت أَن عبد الرحمن من نَسل قومٍ لو بال أَحدُهم فى هذه الجزيرة لغَرِقْنا فى

---

(١) الأَصول « يوصيهم » .

بوله ، ولكن خار الله لكما فى مولاكما ، وعلىَّ سَتْرُ ماأودعتمانى ، فَسَتَر عليهما وانصرفا ، فازداد (١) مع أنفسهما تَمَّام بن علقمة تفاؤلاً باسمه ومضيا به ، ثم أوصيا إلى أبى فُريعة وكُل من أجابهما من الموالى الشاميين، وكان له بصر فى ركوب البحر لتصرفه فيه ، فوّجهاه مع تمَّام بن علقمة ومع بدر .

فلما جاوزوا البحر واجتمعوا بعبد الرحمن قال : يابَدر ، من هذا ؟ قال : مولاك تمَّام ، وهذا مولاك أبو فُريعة ، فقال : تمَّام ، تَمَّ أمرنا إن شاءَ الله ، وأبو فريعة ، افترعنا البلد ، إن شاءَ الله.

فَركبوا البحر حتى نزلوا بالمُنكَّب ، وتلقَّاه أبو عثمان ، وعبد الله ابن خالد ، بالمُنكَّب ، وأتيا به إلى إلفُنْتين ، منزل عبد الله بن خالد ، إذ كان فى طريقهم ، ثم أتيا به طُرَّش من كُورة إلْبيرة ، مَنزل أبى عثمان ، وكانت رياسة العرب بكُورة ريَّة إلى جِدار بن عمرو القَيْسى ، جدّ بنى عَقيل ، فأوصيا إليه وأعلماه بقُدومه ، فقال لهما : تُوافُونى به مُصلّى أُرْجُذُونة (٢) يوم الفطر ، وتَرَوْن مايكون منى ، إن شاءَ الله.

فلما توافَوْا ، وأتى الخطيبُ ، قام إليه جِدارٌ فقال له : اخْلع يوسف بن عبد الرحمن واخْطُب لعبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، فهو أميرنا وابن أميرنا ، ثم قال : يـأهل رَيَّة ، ماتقولون ؟ فقالوا : نقول ماتقول ، فخطب له ، وبايعوه عند انقضاء الصلاة .

---

(١) كذا ، يريد : فضما .

(٢) أرجذونة ، بالضم ثم السكون وضم الجيم والذال المعجمة وسكون الواو وفتح النون وهاء . (معجم البلدان : ١ : ١٩٥) .

وكانت أُرْجُذونة حينئذ قاعدة كورة ريّة ... الخ (١) .

ثم توجه به جِدارٌ فأنزله عند نَفسه ، ووصل الخبرُ إلى بنى الخليع ، موالى يزيد بن (عبد) (٢) الملك ، بتَاكُرُنىَّ (٣) ، فأتوا فى أربعمائة فارس ، ثم تقدَّم يزيد إلى شَذُونة فتلقَّاه جدٌّ بنى الياس فى عَدد كثير أيضا ، فتفخّم جيشه وكَثر عدده ، ثم تلقاه المذكورون من أهل شَذُونة ، وعامَة عرب شَذُونة شاميّهم وبلديهّم .

وخرج أَبو الصبَّاح من إشبيلية ، وحَيْوة بن ملامس ، وهما سيِّدا العرب فى الغرب ، كله ، فتلَّقياه وبايعاه ، ونزل بإشبيلية فى أيام ماضية من شوّال (٤) ، وأتاه أهلُ الغَرب فبايعوه وتَمّ أمره فى جَميع عرب الأَندلس.

ووقع خبره على يوسف ، وهو صادر من غزاته ، وقد أَسر القُرشىَّ العامرى الثائر عليه .

فقصد يزيد إشبيلية حتى نزل حصن نِيبة .

فلما بلغ عبدَ الرحمن خبرُه خرج يريد قُرطبة ، وكان الوادى بينهما ، فى شهر آذار ، فلما رأى يوسفُ عَزم عبد الرحمن فى التوجه إلى قرطبة كَرَّ راجعًا إليها ، فنزل عبدُ الرحمن بقرية بلَّة نوبة البحريين من إقليم طَشَّانة ، من كورة إشبيلية ، فقال المشايخ : إمام لا لواءَ له ،

---

(١) انظر الحاشية (رقم : ٤ ، ص : ٣٤) .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) تاكرنى ، بفتح الكاف وسكون الراء . وضبطه السمعانى بضم الكاف والراء وتشديد النون ، وهو الصحيح . (معجم البلدان : ١ : ٨١٢)

(٤) الأصول : « الشوال » .

خطأٌ فى الرأى، فعَزموا على العَقد له ، وتُطُلِّب فى الجيش قناةٌ تعقد له فيها فلم توجد فى جميعه إلا قناة أبى الصبَّاح ، المُتقدِّم ذكره ، وقناة لأَبى عكْرمة جعفر بن يزيد، جدّ بنى السَّليم الشَّذُونيين ، فعُقد له فى أحدهما فى هذه القرية المذكورة، وشَهد فَرْقَد السَّرقُسْطى ، عابد الأَندلس ، يومئذ عَقْد اللواء .

وبنو بَحْر هؤلاءِ من بُطون لخم ... الخ (١) .

فقال عبدُ الرحمن: فى أى يوم نَحن ؟ فقيل له : فى الخميس ، وهو يوم عرفة ، فقال: يوم عرفة وغدًا الأَضحى والجمعة ، وأَمرى مع فهْرىّ ، أَرجو أَنها أُختُ يوم مَرْج راهط .

وكانت الوَقيعة يوم مَرْج راهط بين مروان بن الحَكم والضحَّاك ابن قَيْس الفهْرىّ ، قائد عبد الله بن الزُّبير، فى يوم جُمعة ويوم أَضحى، ودارت الدائرة لمروان على الفِهْرىّ ، وقُتل معه سَبعون أَلفًا من قَيْس وقبائلهم ... الخ (١) .

وفى ذلك يقول عبدُ الرحمن بن الحكم :

فلا أَفلَحت قَيْسٌ ولاعَزَّ ناصِرٌ   لها بعد يوم المَرْج حين ابْذَعرَّت

ثم أَمر عبدُ الرحمن بن معاوية الناسَ بالحركة لِيَسرِىَ ويُصبح على باب قرطبة، فقال لمن معه: إنا إن كلَّفنا الرجّالة أَن يَسيروا معنا انقطعوا ولم يلحقوا بنا ، ولكن يأْخذ كل واحد منكم رَدِيفه، ثم التفت

---

(١) انظر الحاشية (رقم : ٤ ، ص : ٣٤) .

إلى غلام وقعت عينه عليه ، فقال له : من تكون يافتى ؟ فقال له : سابق بن مالك بن يزيد ، فقال عبد الرحمن : سابق ، سبقنا ، ومالك ، ملكنا ، ويزيد ، زدنا ، هات يدك ، أنت رديفى .

فعَقبه بمَوزور(١) يقال لهم(٢) : بنو سابق الرَّديف ، وهم من البَرانس ، ومن ولده كان أبو مروان الظريف ، فأَسَروا ، فأَصبح لهم ببائش ، وتقدَّم يوسف فَدخل القصر فى السَّحر ، فلما أَسفر الصبحُ تحرَّك عبدُ الرحمن إلى حَربه ، وقد وافاه فى ذلك السحر عرب إلبيرة ، وعرب جَيَّان ، والنهر مُمْتنع بالسَّيْل ، وقد تقابل الجَيْشَان على المَخاضة التى تحت الناعورة ، فكان أول من ترامى فى الوادى من جيش عبد الرحمن عاصم العُريان ، جدّ بنى عاصم ، فتقحَّم الناس بتقحمه بين راكب وراجل ، حتى جازوا ، فلم يرتقب بهم يوسف ، ودارت الحرب فى المُصَارة ساعة ، ثم انهزم يوسف ولم يدخل قصره .

ثم تقدَّم عبد الرحمن فدخل القصر ، ونزل على مطابخه ، فتغدّى منها أكثرُ من معه ، وخرجت إليه زوجته وابنتاه فقُلن له : يا بن عَمنا ، أَحسنْ كما أَحسن الله إليك ، فقال : أَفعل ، هات صاحبَ الصلاة ، وكان صاحب الصلاة حينئذ جدّ بنى سلمان هؤلاءِ القَرّائين ، وكان مولًى للفهْرىّ ، فأَمره بضم النساء إلى داره ، وبات هذه الليلة فى

---

(١) كذا فى معجم البلدان (٤ : ٦٨٠) . وقال ياقوت : « موزور ، اسم مفعول من الوزر » . الوذى فى الأصول ، ونفح الطيب (١ : ٣٠٧) والروض المعطار ، صفة جزيرة الأندلس : « مورور » ، براءين .

(٢) الأصول : « له » .

فى القصر ، وأهدت إليه ابنة الفهْرىّ جارية تُسمَّى : حُلَل ، وهى أُم هشام ، رحمه الله .

وانخزل من المَوكب من باب القصر مَيسرة وقَحطبة الطائيّان ، فخلَّفا النَّهر إلى دار الصُّميل بن حاتم بشَقُندة ، وبها كان مسكنه ، فانتهبا مافى الدار ، والصُّميل بن حاتم مُشرف على ذلك من سَفح الجبل المُطل على شُبُلاد (١) ، وكان فيما وجداه له تابوت فيه عشرة آلاف دينار ، فجعل الصُّميل يقول ، إذ رأى ما رأى :

أَلَا إِنَّ مالى عند طىّ وَديعةٌ ولابُدّ يومًا أَن تُرَدّ الوَدائعُ

وخرج عبدُ الرحمن بن معاوية فى ذلك النهار إلى الجامع فصلّى بالناس صلاة الجمعة ، فوعدهم فى خُطبته بالخير ، وتوجَّه الفِهْرىّ إلى غَرناطة فضبطها ، ثم خَرج عبدُ الرحمن إثره فنازله وحاصره حتى نَزل على أَمانه .

وكان ولدُ يوسف الفِهْرىّ بمَاردة ، فلما بلغه ماحدث على أَبيه ، قدم قرطبة ودخل القصر فى غيبة عبد الرحمن ، فانصرف عبدُ الرحمن إذ بلغه ذلك ، فلما بلغ ولدَ يُوسف إقبالُه خرج هاربًا من قُرطبة يريد طليطلة ، فبعث عبدُ الرحمن فى عامر بن علىّ جدّ بنى فَهد الرُّصافيّين ، وكان له صولة (٢) وسيادة فى القحطانية ، فاستخلفه فى القصر وضَمنه له (٣) .

(١) الأصول : « شبلار » ، بالراء . وما أثبتنا من معجم البلدان (٣ : ٢٥٥) .

(٢) الأصول : « ثورة » .

(٣) الأصول : « وتضمنه » .

ثم عاد عبدُ الرحمن إلى سفره إلى غَرناطة ، فكان ما تقدَّم ذكره .

ثم إنَّ الفهْرىّ غَدر فخرج هاربًا من قُرطبة حتى أتى طُليطلة ، فقَتله بها أعوانه ، واستوسقت الأُمور لعبد الرحمن ، وأمضى عبد الرحمن بن عقبة على ولاية أرْبُونة (١) وما اتصل بها إلى طَرْطُوشة (٢) ، وولّى طُليطلة رجلاً من ولد سعد بن عُبادة الأَنصارى ، كان ساكنًا بها .

ثم رُفع إليه أنَّ أبا الصبَّاح قال لِثَعْلبة بن عُبيد، عند انهزام يوسف الفهْرىّ ودُخول عبد الرحمن القصر : ياثعلبة ، هل لك رأى فى فَتْحين فى فَتح ؟ قال له ثعلبة : وكيف ذلك ؟ قال أبو الصبَّاح : قد استرحنا من يوسف ، فاسترح بنا من هذا ، وتكون الأَندلس قَحطانيّة .

فكاشف عبدُ الرحمن عن ذلك ثَعلبة واستحلفه ، فأَخبره بذلك ، فقتل بعد ذلك إلى عام بِمَكيدة .

وقد تقدم من رياسة أبى الصبَّاح فى الغرب ماذكرناه .

وكانت الرِّياسة بَلبلة (٣) لابن عمه عبد الغفار ، وببَاجَة لابن عمه أيضًا عمرو بن طالوت، وكُلثوم (٤) بن يَحْصُب ، فتعصَّب جميعهم له

---

(١) أربونة ، بفتح أوله ويضم ، ثم السكون وضم الباء الموحدة وسكون الواو ونون وهاء . (معجم البلدان : ١ : ١٩٠) .

(٢) طرطوشة ، بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة . (معجم البلدان : ٣ : ٥٢٩) .

(٣) لبلة ، بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى . (معجم البلدان : ٤ : ٣٤٦) .

(٤) الأصول : « وكلثم » .

بعده ، وقصدوا يُريدون قُرطبة ، وعبدُ الرحمن فى الثَّغر ، فوقع عليه الخبرُ ، فقدم مُسرعًا ونزل برُصافة ، وبها يومئذ عُريفة (١) ، وزيره ، فخرج إليه شُهَيد من القصر ، كان استخلفه فيه ، وقال له : لو دخلت القصر واسترحت فيه الليلة ؟ فقال له : ياشُهيد ، ومافى راحة ليلة إن لم نَظفر بما بين أيدينا ثم أُصبح له .

فتوجه فأَشرف على القوم ، وقد نزلوا على وادى أَمْنيس (٢) ، فاضطرب بقرية بَنْش ، فى حارة منها تعرف بالرَّكُونيين ، ويسميها العامة : الرَّكاكنة ، فلما كان بالعشى ركب مع ثقات من مواليه ورجاله ونفر من العسكر ، فسمع كلام البربر يتكلمون فى العسكر بالبربرية ، فدعا بمواليه من البربر ، مثل بنى الخليع ، وبنى وانسوس ، وغيرهم ، فقال لهم : خاطِبوا بنى عمكم وعِظوهم وأَعلموهم أنه إن تغلب العرب وقَطعوا دولتنا ، فلا بقاءَ لهم معهم .

فلما أظلم الليلُ دَنوا من العَسكر ، وخاطبوهم بالبربرية ، فأَجابوهم إلى ما أحبوه ووعدوهم ، إلى أن انحرفوا عن عَسكرهم ، فلما أَصبحوا (٣) قالوا للعرب : إنا لانُحسن الحرب إلاَّ فُرسانًا ، فاحْملُوا مَن بقى منَّا على الخيل ، فأَرْجَلُوا العَرب وحَملوا البربر على خَيلهم ، ودَخلوا رجّالةً فانحرفوا (٤) إلى عبد الرحمن ، ووقعت الهزيمة على عبد الغفار ، فذهب هو وذَهب ممن معه ثلاثون أَلفًا .

---

(١) الأصول : « عرفية » .

(٢) فيما سيأتى (ص : ٥٤) : « منبس » .

(٣) الأصول : « أصبح لهم » .

(٤) الأصول : « فخرفوا » .

والحُفْرة التى جُمعت فيها رُؤوسهم خَلف وادى أمنبس ، معروفة إلى وقتنا هذا .

وانصرف عبدُ الرحمن وقد ظَفر .

وثار عليه بعد ذلك ثُوَار كثيرون بسَرَقُسطة ، مثل مُطرِّف بن الأَعرابى ، وغيرُه بعده ، ورجل تَنَسَّب إلى علىّ ، رحمه الله ، ثار فى الهَوَّاريين (١) ، بجانب جَيَّان ، فنُصر على جميعهم .

وبعث المنصور إلى العَلاءَ بن المُغيث الجُذامى (٢) ، وكان من سكان باجة فى الغَرب ، وكانت له فيها رياسة ، وبعث إليه بسجل ولواء ، وقال له : إن كان فيك مَحمل لمناهضة عبد الرحمن وإلا فابعث إليك بمن يُعينك .

فقام العلاءُ ودعا إلى نفسه ، وتَبعه خلقٌ كثير ، وتطلَّع أَكثرُ أَهل الأَندلس إلى خَلع عبد الرحمن .

وبلغ الخبرُ عبد الرحمن فخرج من قُرطبة إلى حصن قَرْمونِية (٣) متحصِّنًا فيه ، ومعه ثقات مواليه وخاصَّتهم ، وقَدِم العلاءُ ونازله بقَرْمونية (٣) فحاصره بها قريبًا من شهرين ، فلما طال مُقامُهم انخزل

---

(١) معجم البلدان (٤ : ٩٩٥) .

(٢) نفح الطيب (١ : ٣١١) : « اليحصبى » .

(٣) الأصول ، وصفة جزيرة الأندلس (ص : ١٥٨) : « قرمونة » . وما أثبتنا من معجم البلدان لياقوت (٤ : ٦٩) وقد ضبطت فيه بالعبارة : ثم السكون وضم الميم وسكون الواو ونون مكسورة وياء خفيفة وهاء . ثم قال ياقوت : « وأكثر ما يقول الناس : قرمونة » .

عن العَلاء أكثرُ من كان معه، فواحد رافض (١)، وآخر فى زاد أعجزه .

فلما نظر عبدُ الرحمن إلى تخلخل العَسكر، وكان فى مثل سبعمائة من ذكور (٢) أَصحابه وشُجعانهم، فأَمر بنار فأُوقدت عند الباب المَعروف بباب إشبيلية، ثم أمر بأَجفان سيوفهم فطُرحت فى النار، فأَخذ كلٌّ واحد منهم نَصل سيفه بيده وخَرج وخَرجوا، فدارت الحربُ بينهم، ثم زَلزل اللهُ قَدَم العلاء وأَقدام أَصحابه فولَّوْا هاربين، وقتل العلاءُ فى المُعترك، وأَخذ رَأْسه وحَشاه بالملح والكافور، وجعل معه السجلّ واللواءَ فى سَفَط، وبعثه مع رجلٍ من أهل قرطبة فى جُملة الحاج، وأَمره أن يضع السَّفَط بمكة .

فوافق المنصورَ قد حجّ تلك السنة، فوضعه على باب سُرادقه، فلما وصل المنصورُ نظر إليه، وقال : عرَّضنا المسكينَ للقتل، وقال : الحمد لله الذى جَعل بيننا وبين مثل هذا من عدوّنا بحرًا .

ثم لم تكن بعد هذا حركة، إلى أن تُوفِّى، رحمه الله.

وكان فى أَول دُخول عبد الرحمن قد لَقِى بالأَندلس مُعاوية بن صالح الحَضر ، فقيه أَهل الشام، فوجّهه إلى الشام فى أُختيه شقيقتيه، وبعث معه بمال، فلما قدم عليهما قالتا له : السَّفَرُ لاتُؤْمن آفتُه وقد أَمنَّا بحمد الله، ووَسعنا فَضْلُ القوم، وحسبنا أَن نكون فى عافية، فانصرف عنهما .

---

(١) الأصول : « راقص » .

(٢) ذكور أصحابه : شجعانهم .

ووافق يَحيي بن يزيد التّجيبي ، قاضى هشام بن عبد الملك ، رضى الله عنهما ، على الشاميين ، قد توفى ، فولاَّه (١) للقضاء ، فكان قاضيه إلى آخر أيامه .

ولهشام — رحمه الله — بعده قريبًا من العام ، وهو جدّ التُّجيبيين الذين بقرطبة المتصرِّفين فى الخدمة .

وفى أيام عبد الرحمن بن معاوية دَخل الغازى بن قَيْس الأَندلس بالموطأ ، عن مالك بن أنس ، رحمه الله ، وبقراءة نافع بن أَبى نُعيم ، وكان مُكْرِمًا له ومتكررًا عليه بالصلة فى مَنزله .

وفى أيامه دخل أبو موسى الهوَّارى عالم الأَندلس ، وكان قد جمع علم العرب إلى علم الدين ، وكانت رحلتهما من المشرق إلى الأَندلس . بعد دُخول عبد الرحمن بن معاوية الأَندلس .

فحدَّث الشيخُ ابنُ لُبابة ، قال : أَخبرنا العُتبى ، قال : كان أَبو موسى الهوارى إذا دخل قُرطبة من قرية موزور (٢) ، التى كان فيها سُكناه ، لم يُفْت أَحد من مشايخ قرطبة ، لاعيسى بن دينار ، ولا يحيي ابن يحيي ، ولا سَعد بن حسَّان ، رحم الله جميعهم ، حتى يَرحل عنهم .

وكان أَبو المَخْشِىّ شاعرَ الأَندلس فى أَيامه ، فمدح سليمان بن عبد الرحمن بشِعر ، وتُوهِّم عليه فيه أنه عَرّض بهشام أخيه ، وكانت بينهما مباعدة ومنافسة ، فتعصَّب متعصِّب لهشام فسَمل عينيه ، فقال فى

---

(١) يعنى : معاوية بن صالح الحضرمى .
(٢) انظر الحاشية (رقم :١ ص : ٥٠) .

العَمَى شعْرًا حسنًا ، ثم قصد به عبد الرحمن بن معاوية ، فأنشده إياه ، فرقّ له واستعبر ، ودعا بألفى دينار فأعطاه إياها ، وضاعف له دية العَينين ، وهو الشعرُ الذى أوله :

خَضَعَت أُمَ بناتى (١) للعدى ... أنْ قَضَى اللهُ قضاءً فمَضَى
ورأتْ أعمى ضريرًا إنمّـا ... مَشْيُه فى الأَرض لمسٌ بالعَصَا
فاستكانتْ ثم قالت قَولةً ... وهْيَ حَرّى بَلَغَتْ منيّ المَدَى
ففؤادى قَرِحٌ مِن قَوْلِهـا ... ما مِن الأَدواء داءٌ كالعَمَى

وهذا الشِّعر أنشده عباسُ بن ناصح للحَسن بن هانئ ، فقال الحسن : هذا الذى طلبتْه الشعراءُ فأَضلَّته .

فلما صار الأَمر إلى هشام ، رحمه الله ، بعث به ، إذ كان غَمَّه ما كان حدث عليه بسببه ، فأَعطاه الدِّية مضاعفةً ... الخ (٢) .

ولأَبى المَخْشِىّ ، وقيل : إنه آخر ، شِعْرٌ قاله :

أُمّ بَنيَّاتى الضعيفُ حُوَيْلُهـا ... تَعُول امرأً مثلى وكان يَعُولُها (٣)
إذا ذكرتْ ماحال بَيْنى وبَيْنها ... بكتْ تَستقيل الدَّهْرَ مالا يَقيلُها

(من أخبار أرطباش)

ومن أَخبار أَرْطباش : أَن عبد الرحمن بن معاوية أَمر بقَبض ضياعه التى كانت بيده ، وأَوجب ذلك أنه نظر إلى قُبته يومًا فى بَعض غزواته معه ، وحولها من الهدايا غيرُ قليل ، إذا كانت الهدايا تتلقّاه فى كل محلّة

(١) الأصول : « بناى » .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٣٤) .

(٣) حويل ، تصغير : حول ، بالفتح ، وهو الجهد والطاقة .

من ضياعه ، فنَفس ذلك عليه ، فقبضت منه وصار عند بنى أخيه حتى ساءت حاله ، فقصد قرطبة ، وأتى إلى الحاجب ابن بُخت ، فقال له : استأْذن لى على الأَمير ، أبقاه الله ، فإنى أتيتُه لأَتودَّع منه ، فدَخل الحاجبُ فاستأْذن له ، فأَدخله عبد الرحمن بن معاوية إلى نفسه ، فنظر إليه فى هيئة رثَّة ، فقال له : ياأَرطباش ، مابلغ بك هاهنا ؟ فقال له : أَنت بلَّغتنى هاهنا ، حُلت بينى وبين ضياعى ، وخالفت عُهود أَجدادك فىّ بلاذَنب يوجب ذلك علىّ ، فقال له : وما هذا التَّوديع الذى تريد أَن تَتودَّع منى ؟ أَظنك تريد التوجه إلى رومة ؟ قال : لا ، ولكنه بَلغنى أَنك تريد التوجه إلى الشام ، قال له : ومن يَتركنى أَرجع إليها وبالسيف أُخرجت عنها ؟ قال له أَرطباش : فهذا الموضع الذى أَنت فيه تُريد أَن توطِّدْ لولدك بعدك أَم تأْخذ منه ما اتُّخذ لك ؟ قال له : لا والله ، ماأُريد إلا أَن أَوطده لنفسى ولولدى ، قال له أَرطباش : فعَين (١) هذا العمل أَعمل فيه ، ثم عرّفه بأَشياء كان الناس يُنكرونها عليه وبَيَّنها له ، فسُر بذلك عبد الرحمن بن معاوية ، وشكره عليه ، وأَمر له بعشرين ضيعة من ضياعه صُرفت إليه ، وكساه ووصله ، وولاه القماسَة ، فكان أَول قَوْمَس (٢) بالأَندلس.

وحَكى الشيخُ ابنُ لُبابة ، رحمه الله ، عمن أَدركه من الشيوخ : أَن أَرطباش كان من عُقلاء الرجال فى أَمر دنياه ، وأَنه دخل عليه عشرةُ من الشاميين ، فيهم : أَبو عثمان ، وعبد الله بن خالد ، وأَبو عبدة

(١) مخطوطة مدريد : « فغير ».

(٢) القومس ، بالفتح : السيد والشريف ، يريد : الأمير .

ويوسف بن بُخت ، والصميل بن حاتم ، فسلّموا وجلسوا على الكراسى المحيطة بكرسيه . فلما أخذوا مقاعدهم ، وحيّا بعضهم بعضًا ، دخل ميمون العابد ، جدّ بنى حَزم البوّابين ، وهو أحد الموالى الشاميين ، فلما رآه أرطباش داخلا قام إليه والتزمه وجعل يقوده إلى كرسيّه الذى قام منه ، وكان مُصمّدًا (١) بالذهب والفضة ، فأبى الرجل الصالحُ الجلوس عليه ، وقال له : لايحلّ لى هذا ، فجلس فى الأرض ، وجلس معه ، ثم قال له : ماجاءَ بمثلك إلى مثلى ؟ فقال له مَيمون : قَدِمْنا إلى هذا البلد ، وظنَنا أن ثَواءَنا لايَطول فيه ، ولم نستعد للمُقام ، فحَدث من الاضطراب على موالينا بالمَشرق مانتوهَّم به أنَّا لانعود إلى موضعنا منه ، وقد وسّع الله عليك ، فأُريد أن تُعطينى ضيعة من ضِياعك أعتمرها بيدى ، وأؤدى إليك الحقَّ منها ، وآخذ الحق ، فقال له أرطباش : لا والله ، ماأرضى أن أعطيك ضَيعةً مُناصفةً ، ودَعا بوكيل له ، فقال له : ادفع إليه المُجشِّر (٢) ، الذى على وادى شَوش ، ومافيه من البقر والغنم والعبيد ، وادفع إليه القلعة بجَيّان ، وهى المعروفة بقلعة حَزم ملكها .(٣)

فشكر وقام ، وعاد أرطباش إلى مقعده ، فقال له الصُّميل : ياأرطباش ، مايُعجزك من سُلطان أبيك إلا نفاد الطِّيبة ، أَدْخُل عليك وأنا سيِّد العرب بالأندلس ، ويدخل أصحابى هؤلاءِ معى ، وهم سادات الموالى بالأندلس ، فلا تَزِدنا من الكرامة على القعود على العيدان ، ويدخل

---

(١) مصمداً : مكسوا .

(٢) مطبوعة مدريد : « المحش » .

(٣) بياض بالأصول .

هذا السؤال (١) فتصير من إكرامه إلى حيث صرْتَ ، فقال له أرطباش : يا أبا جَوشن ، أهلُ ديانتك يُخبروننا أنَّ أدبهم لم يَأْخذك ، ولو أخذك لم تنكر عليّ بِرًّ من بَرَرْتُ ، وكان الصُّميل أميًّا لايقرأُ ولا يكتب - إنكم أكرمكم الله إنما تكرمون لدنياكم وسلطانكم ، وهذا الذى أكرمته إنما أكرمته لله عزَّ وجل ، وقد رَوينا عن المسيح ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : من أكرم اللهَ من عباده وجبت كرامتُه على جميع خلقه ، فكأنما ألقمه حجرًا ، فقال له القوم : دع هذا وانظر فيما قَصدنا له ، حاجتنا وحاجة الرجل الذى قصدك وأكرمته واحدة ، فقال : أنتم ملوك ، وليس يرضيكم إلا الكثير ، فوهبهم مائة ضيعة ، صار منها لكل واحد منهم عَشر ضياع منها : طُرَّش ، لأبى عثمان ، وإلقُتتين ، لعبد الله بن خالد ، وعُقدة الزيتون بالمدوَّر ، للصُّميل بن حاتم .

(من أخبار الصميل)

ومن أخبار الصُّمَيل : أنه خطر يومًا بمؤدب الصبيان ، وهو يقرأُ : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (٢) ، فقال الصُّميل : نُداولها بين العرب. فقال له المؤدب : بَين الناس ، فقال الصُّميل : وهكذا نزلت الآية ؟ قال له : نعم ، هكذا نَزلت ، قال الصُّمَّيل : والله إنى أرى هذا الأمر سيَشركنا فيه العبيدُ والسِّفْلة (٣) والأَراذل .

وخَرج الصُّميل يومًا من (عند) (٤) عبد الرحمن بن معاوية ، وقد انتهره وخرج عليه ، فرآه على باب القصر رجلٌ ، قد اعوجَّت قَلنسوته ،

---

(١) يريد : المتسول ، دخيلة .
(٢) آل عمران : ١٤٠ .
(٣) الأصول : « والسفال » .
(٤) تكملة يقتضيها السياق .

فقال له الرجل : قوّم قَلنسوتك ، فقال الصُّمَيل : إن كان لها قَوْم فسيقومونها .

وعَرض لهشام ، رحمه الله ، يومًا عارض ، وهو صادر عن جنازة ثَعلبة ابن عُبيد إلى داره : خرج إليه كلب من دار تُجاور مقبرة قُريش — هذه معروفة — فقبض على بَنيقة (١) مَحشوٍّ مَرْوىّ (٢) كان يَلبسه ، فخَرقه ، فقال : يُؤْمر عاملُ قرطبة أَن يُلزم صاحبَ هذه الدَّار دِرهم طَبل (٣) ، إذ اتخذ كلبًا فى موضع يضُر فيه بالمسلمين ، ثم خرج من دار ثَعلبة ابن عُبيد ، وأَمر بإسقاط الدرهم عنه ، وقال : قد غَممنا صاحبَ الدار أَكثر ممَّا غَمَّنا فى ثوبنا .

وحُكى أَنَّ هشامًا لمَّا وَلى بعث فى الضَّبى المنجِّم إلى الجزيرة ، فقال له : لست أَشك أَنك قد عُنيت بأَمرى إذ بلغك ، فناشدتُك الله إلا أَخبرتنى بما ظهر لك ، فقال له الضَّبى : ناشدتُك الله إلا أَعفيتنى من هذا ، فأَعفاه ، فلما كان بعد أَيَّام كَشف عنه ، فقيل له : خاطِر ، فبعث فيه وقال له : إن الذى أَسأَلك لست والله أُصدِّق به على الحقيقة ولكن أُريد أَن أَسمعه ، ولئن أَوردتَ علىّ مايَغُمنى لا أُعافينَّك ولأَحبونك ولأَكسونك وأُكافئك كما كنت أُكافئك ، على أَن تُورد علىّ مايسرنى ، فقال له الضَّبى : مابين السِّتة إلى السَّبعة ، فأَطرق عنه ساعة ثم رفع رأْسه إليه فقال له : ياضبىّ ، والله لو أَنها فى سَجدة الله لهانت ، وكساه وحباه وصرفه

(١) البنيقة : الزيق يخاط فى جيب القميص ونحوه ، تثبت فيه الأزرار .
(٢) محشو ، أى ثوب — ومروى ، نسبة الى مرو الشاهجان ، من مدن خراسان . (معجم البلدان : ٤ : ٥٠٧)   (٣)درهم طبل ، أى درهم خراج .

إلى بلده ، واطَّرح الدنيا ومال إلى الاخرة ، رحمه الله ... الخ (١) .

وتولى هشامٌ النَّظر فى الرعية بخَير مانظر به ناظر ، من الرِّفق والعَدل والتواضع ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، وقطع العُشور ، وأَخذ الزكاة ، والاقتصاد فى مَلبسه ومركبه .

ورَحل بعد عام من ولايته زيادُ بن عبد الرحمن اللَّخمى ، فقيهُ الأَندلس ، جدّ بنى زياد القُرطبيين ، إلى الشرق ، فلما صار بالمدينة ، ووصل إلى مالك بن أنس ، رحمه الله ، سأَله عن هشام ، فأَخبره عن مَذاهبه ، وحُسن سيرته ، فقال مالك : ليت الله زيَّن سَمْتنا بمثل هذا .

وبَنى ، رحمه الله ، الجامع بقُرطبة ، والقنطرة على واديها .

وافتتح عبدُ الواحد بن مُغيث أَرْبُونة (٢) فى أَيَّامه ، وفى الخُمْس الحاصل منها بَنى القَنطرة والجامع .

وكان لما تُوفى التُّجيبى يَحيى بن يزيد القاضى بقُرطبة ، قد شاور عبدُ الرحمن بنُ معاوية وحَضر شُوراه ابناه سُليمانُ وهشام ، فيمن يولِّى القضاءَ مكانَه ، فقال له سليمانُ وهشام : عرفنا بجانب المُدَوَّر (٣) الأَدنى إلى قرطبة شيخًا من العرب الشاميِّين له فَضل وصَلاح وخير كثير ،

---

(١) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٣٤) .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ١ ص : ٥٢) .

(٣) ضبطت ضبط قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤٣) : بضم ففتح فواو مشددة مفتوحة . وهذا يتفق ونطقها فى الأسبانية . وضبطت ضبط قلم فى معجم البلدان (٤ : ٤٥٠) : بفتح فضم .

يُسمَّى : مُصعب بن عمران الحَمْدانى ، فصَدقهما الوزراء ، فبَعث فى الشيخ ، فلما أَوصله عبدُ الرحمن إلى نفسه أَعلمه بما بعث فيه له ، فلم يُجبه ، وكان عبد الرحمن لايحتمل أن يُخالَف ، فغضب غضبًا شديدًا حتى جَعل يَقْتُل ما أَسبل من شاربه . وكانت إشارة غضبه وسطوته ، ثم صرفه عنه ، ثم قال له : قُم ، فعلى المُشيرَيْن بك لعنةُ الله وغضبُه .

ووافق ذلك إقبالُ مُعاوية بن صالح ، من الوجهة التى كان وَجهه لها ، فولاَّه القضاء ، وقد تقدَّم ذكره (١) . فكان قاضيًا إلى أَيام هشام ، ثم توفى ، فبعثَ هشامٌ فى مُصعب بن عِمران فأَدخله على نفسه ، وقال له : تَسمع منى ماأَقوله لك ، بالله الذى لا إله إلا هو ، لتجيبنى إلى ما أدعوك إليه أَو لأَسطون بك سطوة تَمحو عنى اسم العَدل والرِّفق مابقيت ، وإن الأَخلاق التى كُنت تكرهها من أَبى قد أَمكنها الله منى ، وبقى طيبها عليك لصلاح أُمور المسلمين ، ولو وضعت المئشار (٢) على رأْسى لم أَعترضك .

فولى القضاء ، ووافق ذلك قدوم مُحمد بن بشير المَعافرى الباجى من الحج ، فاستكتبه مُصعبُ بن عمران ، فكان كاتبه إلى أن تُوفى مصعب .

وولى محمدُ بن بشير القضاء بعده (٣) فى أَيَّام الحكم بن هشام .

ومرَّ هشامٌ بابن أَبى هند ، الذى سماه مالك : حكيم الأَندلس ، فقام إليه وحيَّاه ، فقال له هشام : لقد أَلبسك مالك ثوبًا جميلاً .

---

(١) انظر الفهرست . (٢) المئشار : المنشار .

(٣) بعده ، أى بعد هشام .

أخبار الحكم بن هشام

ثم وَلى الحكم بن هشام، رحمه الله، فكان جميل السيرة فى رعيّته. متخيرًا لحكّامه وعُمّاله، مؤمِّنًا للسُّبل، متكررًا بالجهاد.

واستقضى أول ولايته خَير قضاة الأَندلس وأَعْدَلهم: محمدَ بن بَشير.

وكان محمد بن بشير فى حداثته، كاتبًا للعباس بن عبد الله المروانى(١) بباجة عامل هشام، رحمه الله، يسيرًا، ثم رحل إلى المَشرق وحج البيت، وسمع من مالك بن أنس سماعًا يسيرًا، وانصرف، فاستكتبه مصعبُ بن عِمران الهمدانى، المتقدِّم ذكره، وهو قاضى الجُند بقرطبة، فكان كاتبه إلى أن تُوفى، وأجمع الوزراء على توليه بعده، فولى القضاء أكثر خلافته، ثم توفى.

وولى القضاء بعده ابنُه سعيد بن محمد بن بشير، وكان أَيضًا من أخيار القضاة.

وكان المتغلِّبَ على أمر الحكم طولَ أَيامه حاجبُه عبد الكريم بن مُغيث، وكان من العقل وحُسن الرأى بمكان كبير.

وكانت للحَكم بالأَندلس ثلاث وقائع عظيمة، فمنها: وَقيعة بطُليطلة، وذلك أنهم كانوا من الإثارة (٢) والطغيان والاستخفاف

---

(١) الأصول: «المروزى».
(٢) الأصول: «الأثر».

بالعمّال مالم تبلغه قط رعيّة من ولاتها ، وكان عندهم غرِبيب الطُّليطلى الشاعر ، وكان من أَهل الحِكمة والدَّهاء ، وكان أهل طليطلة يُسندون إلى رأْيه ، فلم يَطمع الحكمُ وفيهم أَيامَ غِربيب ، فلما توفى استقدم عُمروس ، المعروف بالمولد ، من وَشقة (١) ، وهو جدّ بنى عَمروس الصّيديين ، فاختصه ، وقرّب مكانه ، ثم استراح إليه بما فى نفسه فى أَهل طُليطلة ، وقال له : إنه لم يَقم لى أَملٌ فى الانتصاف منهم إلا على يدك ، إذ رجا مَيل أَهل طُليطلة إليه للدَّعوة التى هو منها ، فوافقه على ذلك ، فولاه طُليطلة ، وكتب إلى أَهلها كتابًا يخدعهم عن عقولهم ، ويقول : إنى اخترت لكم رجلاً من أَهلكم وأعفيتكم من موالينا ، ومن يتصرف فى عمالتنا ، وحدّ لعمروس حدودًا رجا بها بُلوغ أَمله فيهم ، فكان مما حدّ له أَن قال : إذا أَنس أَهل طُليطلة إليك ، وأَحلوك محل واحد منهم ، بإظهارك لهم فى الباطن أَنهم أَحب إليك من بنى أُمية ، ومن كل من عرفتهم ، وأَنك على كراهة لجميعهم ، أَن تقول لهم : إنى رأَيت هذا الشر الحادث بينكم وبين عمال السلطان ، إنما هو بمداخلة الحَشم لكم ولبنيكم ونسائكم ، فكنت أَرى أَن أَبْنى قَصبة فى جانب من المدينة يَسكنها الحشم فيكونون بمعزل عنكم ، وتسلمون من شرهم ، فأَجابوا إلى أَن تكون القصبة فى وسط المدينة ، ولاتكون فى جانب . فاختاروا الجبل المعروف بجبل عُمروس إلى يومنا هذا ، فبنى فيه قصرًا ، واستخرج ترابه من حُفرة فى وسطه .

---

(١) وشقة ، بفتح أوله وسكون ثانيه . (معجم البلدان : ٤ : ٩٢٨) .

فلما تَمَّ القصر ورَحل إليه وسكنه أَعلم الحَكَمَ بذلك : فعهد إلى بعض قواده فى الثغر بأَن يحاط (١) بحركة العدو إليه ، ويسأَل الجند والنفير ، فاستنفر الناس بقرطبة وغيرها ، وأَخرج ابنه عبد الرحمن ، وهو حينئذ ابن أَربع عشرة سنة ، وأَخرج معه ثلاثة من وزرائه ، فلما جاوز طليطلة ، وقد كتب الحكمُ ، كتابًا مع أَحد الخلفاء ، وأَمره أَن يدفعه إلى الوزراء عند اجتماعهم بعُمروس ، فلما صار العسكر بطُليطلة لموضع يعرف بالجيَّارين ، تلقَّاه الخبرُ بانصراف العدو ، فقال عمروس لأَهل طليطلة : إنه يلزمنى الخُروج إلى الولد ، أَبقاه الله ، وواجب عليكم مثل ذلك ، فخرج وخرجوا معه حتى أَتوه ، فلما وصلوا إليه أَمر الولد بإيصالهم إلى نفسه ، وبسط لهم من حُسن رأْيه ما أَنسوا إليه .

ثم خلا عمروس بالوزراء ، ودفع الكتاب فقرءوه ، فإذا فيه أَن يُشير عمروس على أَهل طُليطلة بأَن يستجلبوا الولد إلى طُليطلة ليكرمهم بذلك ، وليكونوا من خواصه ، ويظهر الولد لهم التَّعاصى والإبابة فى دخول طُليطلة حتى يعزموا عليه ، فإذا عزموا تعاد لهم (٢)، وصار فى داخل القصبة ، نظر فى إقامة صنيع لهم ليُطعمهم ويَكسوهم ويَصطنعم بذلك ، وكان فى عهده إلى عمروس إذا بنى القصبة أَن يكون لها بابان ، فسأَل القوم ذلك ، فتعاصوا ، ثم أَجابوه (٣) .

فرحل إلى المدينة ، ودخلها وصار فى القصبة ، ثم أَمر بأَن يُحْضر مايقوم منه الصَّنيع فى اليوم الثانى ، وأَمر بإحضار وجوه أَهل طليطلة

---

(١) الأصول : « يخاطب » . (٢) كذا

(٣) الأصول : « فتعاصى ثم أجابهم » .

فى الحاضرة والبادية ، فحضروه ، وأُمروا بالدخول من باب ، وصُرفت دوابهم إلى الباب الثانى ليخرجوا منه ، ووقف السيَّافون على شَفير الحُفرة ، وكل من دخل ضربت رقبته ، حتى أَتى القتل منهم إلى خمسة آلاف وثلثمائة ونيف . وأَثبت عبد الرحمن (١) بَصره فى السيف ، فلم تزل به غمزةٌ فى عَينه إلى أَن مات .

ويحكى أَنَّ حكيمًا من طُليطلة لما أَتى الباب الذى منه الدُّخول ، ولم يلق فى إقباله أَحدًا خارجًا ، وقد تعالى النهار ، فقال لمن حول الباب من أَهل طُليطلة : ياصِحابنا ، وأَين أَصحابنا الذين دخلوا من غُدوة ؟ فقيل له : على الباب الثانى يخرجون ، قال : لم أَلق أَحدًا منهم مُنقلبا ، ثم رفع بصره فنظر إلى بُخار الدم ، فقال : يأَهل طُليطلة ، السيف والله يُعمل فيكم ، هذا بُخار الدم لا دخان المطبخة ، فكان قوله سبب افتراق الناس وبقاء من بقى منهم .

ثم استقامت طاعتهم بقيَّة أَيام الحكم ، وأَيام عبد الرحمن ابنه كلها ، إلى أَن توفى عبد الرحمن وخَلعوا .

وسيأْتى ذكر ذلك فى موضعه إن شاءَ الله .

ثم ظهرت بالجزيرة خارجيَّة تُشبه مذاهبُهم مذاهب الخوارج أَيام ثورتهم على علىّ ومعاوية ، رضى الله عنهما ، ومن بعدهم ، فكتب عباسُ ابن ناصح إلى الحكم شعرًا يُغرى بهم ، ويحض على إنكار ما أَحدثوه ، وفى الشعر :

---

(١) هو : عبد الرحمن بن الحكم .

صل بالأَفِيل الذى رَبَّوا لِفِتْنتهم   من قبل أن يَرحلوه نحونا جَذَعا (١)

فقال الحكم : إى والله ، نفعل ، وخرج بنفسه حتى أتى الجَزيرة ، ونزل على بابها ، وحمل السيف على أكثر أهلها .

ثم حَدث بقرطبة حادثةُ الهَيج ، وذلك أنَّ قومًا من أعلام قُرطبة أنكروا عليه أشياءَ رابتْهم ، فأرادوا خَلعه ، وقصدوا إلى ابن عمَّة له ، يعرف بابن الشماس ، من ولد مُنذر بن عبد الرحمن بن معاوية ، فخاضوا معه فى ذلك ، وأرادوا تقديمه وخلع الحكم ، فأظهر لهم الإجابة وقال لهم : عرفونى بمن معكم فى هذا الأمر ، فواعدوه ليومٍ بعينه ، ثم قصد بنفسه إلى الحكم وأعلمه بذلك ، فقال له : أردتَ أن تُغريى بأعلام بلدى ، والله لتصححون هذا عندى أو لأضربن رَقبَتك ، فقال له : ابعث إلىّ أمينَك ليلة كذا ، فبَعث إليه فتاه برنت ، وكاتبه ابن الخدّاء ، جدّ بنى الخداء ، فأقعدهم بمكان يَسمعون مايدور بينه وبينهم ، فأتوه وأداروا الأمر ، فقال لهم : من معكم فى هذا الرأى ؟ فقالوا : فلان ، والكاتب يكتب خلف الستارة ، فأملوا عددًا كثيرًا حتى خَشِى الكاتب أن يُسمَّى ، فصوت بالقلم فى الرق ، فثار القوم وقالوا : فعلتها ياعدو الله ! فمن خرج من وقته ذلك وفرّ نجا ، ومن توقَّف قُبض عليه .

فكان فيمن فَرْ عيسى بن دينار ، فقيه الأندلس ، ويحيى بن يحيى ، وغيرهما .

---

(١) الأفيل : الصغير من الإبل والغنم . والجذع ، من الإبل : ما استكمل أربعة أعوام ودخل فى السنة الخامسة ، ومن الضأن : مابلغ ثمانية أشهر أو تسعة .

وقبض (١) على ستّة من أعلام القوم المآخير (٢) ، فصُلب منهم يحيي بن نصر اليَحصبي ، من ساكنى قَرية شَقُندة ، وموسى بن سالم الخولانى ، وولده ، فثار أَهل الرَّبض بسبب ذلك ، وشَهروا السِّلاح ، ودارت الحرب بينهم وبين الجُند ، فلما تكاثر عليهم الحَشم صاحوا بالطاعة ، فأَشار بعض الوزراء بألا يُقبل ذلك منهم ، وأَشار بعضهم إلى قبول ذلك منهم ، وقال : إن منهم المسيئ والمُحسن ، فأُخذ برأى من أَشار بالصفح عنهم ، وأُذن لهم بالخروج عن قُرطبة .

وافترقوا ولحقوا بساحل بلد البربر ، وصاروا أَهلها ، وانخزلت منهم طائفة كبيرة نحو الخمسة العشر الأَلف، وركبوا البحر حتى أَتوا الإسكندرية فملكوها ، وذلك فى أَول ولاية الرَّشيد ، وسَطوا بأَهلها سطوةً منكرة ، وحملوا السيف على أَكثر أَهلها ، وذلك أَن جَزَّارًا ضرب وجه رجل مُسلم منهم بكَرش ، فأَنفوا لذلك ، فحَملوا السيف على أَكثرهم .

فلما بلغ الرشيدَ خبرُهم أَخرج ثمة ابن أَيمن الحاجب ، ليستصلح أمرهم ، فابتاع المدينة منهم بمال كثير ، ثم خيّرهم فى النزول حيث شاءُوا من عمل مصر وجزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش ، فنزلوها ، وهم فيها إلى يومنا هذا .

---

(١) الأصول : « وتقبض » .

(٢) الأصول : « المتأخر » . والمآخير : جمع مئخار . وهو المتأخر .

مفاخر الحكم
رحمه الله

أذعنت الأندلس كلها بالطاعة للحكم ، ولم يختلف عليه فيها مُختلف ، حاشى بنى قَسِىّ فى الثغر ، فإنهم بَقُوا على عنادهم ، وله فى ذلك أبيات يُخاطب بها ابنه عبد الرحمن ، منها :

فهَاك (١) سلاحِى إننى قد تركتُها مِهَادًا ولم أترك عليها مُنازِعَا

وكانت للحكم وقائع بجلّيقية وآثار كريمة .

وكان فى جُملة من أجلب عليه فى الرَّبض طالوتُ بن عبد الجبار المَعافرى ، وهو أحد من روى عن مالك ونُظرائه من أهل العلم ؛ فلما وَقعت الوقيعة فَرّ عن داره ، وكان مَسكنه فى المدينة يُجاور المسجد والحُفرة المنسوبين إليه ، فاستتر عند رجل من اليهود عامًا حتى سكنت الأحوال وذهبت النّائرة .

وكانت بينه وبين أبى بسَّام الوزير وُصلة ، وهو جدّ بنى بسَّام الهرّائيين ، فطال عليه الكونُ عند اليهودى ، فقصد أبا بسّام الوزير بين العشاءين ، فلما وصَل إليه قال له : أين كنت ؟ قال له : عند رجل من اليهود ، فأمَّنه وسكَّنه ، وقال له : الأمير — أبقاه الله — نادمٌ على ما كان منه . وبات عنده ، فلما أصبح قصد أبو بسَّام القصر بعد أن وكّل عليه من يحرسه ، فلما وصل إلى الحكم قال له : كيف رأيك

(١) نفح الطيب (١ : ٣٢٠) : « فهذى » .

فى كَبْش سمين على مِذْوده (١) اليوم سنة ؟ فقال له الحكم : اللحم المُشْبَع ثقيل ، واللحم الصَّحراوى أخف وأَعذب ، قال له أَبو بسَّام : غير هذا أَريد ، طالوت عندى ، قال له الحكم : وأَين ظفرت به ؟ قال له : إنى لَطُفْت (٢) عليه ، فأَمر بإحضاره ، ووُضع له كرسى ، وجئ بالشيخ يُزْعَج إزعاجًا شديدًا ، فلما مَثل بين يديه قال له : ياطالوت ، أَخبرنى لو أَن أَباك أوابنَك مالِكُ هذا القصر فكان يَزيدُك فى البرِّ والإكرام على ماكنت أَفعله بك ؟ هل أَوردتَ قطُّ علىّ حاجة لنفسك أَو لغيرك إلا سارعت إلى إسعافك فِيها ؟ أَلم أَعُدك فى علتك مرَّات ؟ أَلم تتوفَى زوجتُك فقصدتُك إلى بابك ومشيتُ فى جنازتها راجلاً من الرَّبض ، ثم انصرفت معك راجلاً حتى أَدخلتُك منزلك ؟ فما بلغ بك ؟ وأَىّ عندك إن لم تَرْض إلا بسَفْك دمى وهَتك سِتْرى وإباحة حُرمتى ؟ قال له طالوت : ماأَجدُ لنفسى فى هذا الوقت مقالاً خيرًا إلىّ من الصدق ، نشدتك الله (٣) ؟ فلم يَنفعك عندى كُلُّ ماصنعته فىّ شيئًا (٤) ، فأَخذت الحكم وُجهةٌ ثم قال : والله لقد بعثتُ فيك ومافى الأَرض عقابٌ إلا وقد مثلتُه بين يدى لأَوقعه بك ، فأَنا أُعلمك أَنَّ الذى ابْتَغضنى لك (٥) قد صَرفنى عنك ، فانصرفْ فى حِفظ الله آمنًا ، والله لاتركت برّك ، وماكُنت عليه فى جانبك حياتى ، إن شاءَ الله ، فليت

---

(١) المذود : معلف الدابة .

(٢) الأصول : « لطفى » .

(٣) الأصول : « أنفضتك الله » .

(٤) الأصول : « بسيا » .

(٥) الأصول : « له » .

الذى كان لم يكن ، قال له : لو لم يكن كان خيرًا لك ... الخ (١) .

ثم قال له : أين ظَفِر بك أبو بسَّام ؟ قال : والله ماظَفِر بى ، أنا ظفرته بنفسى . وقصدته بوصُلة كانت بينى وبينه . قال له : فأين كنت فى عامك هذا ؟ قال له : عند رجل من اليهود . فقال الحكم للوزير : يا أبا بسَّام ، رجل من اليهود حَفِظ فيه محلَّه من الدين والعلم ، وخاطر بنفسه وأهله وولده معى . وأردت أن تنشبنى فيما أنا نادم عليه . ثم قال لأَبى بسَّام : اخرج عَنى ! والله لا رأيت لك وجهًا أبدًا . وأمر برفع فراشه وعَزله .

ولم تزل وَرثتُه فى ارتكاس وسَفال إلى وقتنا هذا ، وبقى طالوت مبرورًا محفوظًا على ماشُرط له ، إلى أن توفى . فحضر جنازته الحكم .

وطاولت الحكمَ بعد هذا علَّة صحبته سبعَة أعوام مات فى آخرها ، على ندم وتوبة مِمَّا جرى على يده ، وأَخذته فى العلَّة رقةٌ فكان يسهر بالقرآن إلى أن تُوفى .

وكان جُدير ، جدّ بنى جُدير ، بوابًا على باب السُّدة فى حين هَيج الرَّبض ، وضم النفر الصالحين إلى حَبس الدُّويرة ، فأَدخله الحكم على نفسه ، فقال له : إذا أظلم الليل فأَخرج هؤلاء المشايخ السوء وأْمُر بضرب رقابهم وصلبهم ، فقال له : والله يامولاىَ ، إنى لأَكره لك ولنفسى أن أكون غدًا أنا وأنت فى زاوية من زوايا جهنم تهرّ إلى وأهرّ إليك ،

---

(١) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٣٤) .

لاتنفعنى ولا أنفعك . . فانتهره وعزم عليه فى إنفاذ ذلك ، فلم يُجبه ، فأَمر بإخراجه وإدخال ابن نادر البَّواب صاحبه ، فَنَفَّذ ذلك على يديه .

فلم يزل بنو جُدير وعقبه من حِينئذ يَنْمون ويَعْلون ، ولم يزل بنو نادر يَسْفلون حتى انقطعت بَيْتَتُهم (١) .

ورُوى عن محمد بن وضاح ، رحمه الله ، أَنه كان يُحكى عن الأَمير الحَكم ، رَحمه الله ، حكايتان : إحداهما فى محمد بن بشير ، والثانية فى ذكر شئ من الحَدثان ، وكان محمد بن وضَّاح يقول ، عند فراغ الحكايتين : لو لم يكن للحَكم عند الله غير هاتين لرجوتُ له الجنة .

الحكاية الأُولى : ذُكر عن بعض الخاصة أَن كَريمة من كرائم الحكم ، رحمه الله ، ذَكرت أَن الحكم قام عنها ليلاً فساءَ به ظَنُّها ، على مايَتوهَّم النساء ويَسبق إليهن من وَجه الغَيرة ، قالت : فقفوتُ أَثره ، فوجدته فى بعض الأَماكن يُصلِّى ويدعو .

قالت : فلما انصرف إلىّ أَعلمتُه بما ظننتُه ، وبما فعلتُ ، وما رأيته عليه من الصلاة والدعاء ، قالت : فقال لى : كنتُ قلَّدْت محمد بن بشير القضاءَ بين المُسلمين ، فكانت نفسى عليه طيبَّةً وقلبى به واثقًا ، وكنت مستريحًا من أَخبار الناس وظُلامتهم ، بما علمت من عَدله وثقته ، حتى أُعلمت هذه العشية أَنه فى السِّياق ، وأَن الموت قد حَضره ، فقَلقْت لذلك واغتممت به وقمت فى هذه الليلة أَدعو الله وأَبتهل إليه أَن يوفق

---

(١) بيتّهم : ذريتهم .

لى رجلا يكون عِوَضًا منه ، تسكُن إليه نفسى ، فأُوليه قضاء المُسلمين بعده .

والحكاية الثانية : أنَّ الحكم بن هشام ، رحمه الله ، خرج يومًا متنزهًا فنزل منزلاً للراحة ، فقعد ثم استلقى وتنفَّس الصُّعداء ، ثم نظر إلى بعض الفِجاج فقال : يخرج فى آخر الزمان خوارجُ كأنِّى أَراهم من هذه الفجاج ، يقتلون الرجال ويَسبون الولدان ، فياليت حَكمًا كان حيًّا حتى يُعلم نصرُه وذبُّه عن الإسلام .

من أخبار
عبد الرحمن بن الحكم

ثم ولى عبدُ الرحمن بن الحكم ، رضى الله عنهما ، فسار بخير سيرة ، والتزم أكرام أهل العلم وأهل الأدب والشعر فى دولته ، وإسعافهم فى مطالبهم كلِّها ، فعاش بخير ، وكانت رعيته معه بخير .

وله فى دار الحرب غزوات ، مرّة بنفسه ومرة بقُواده .

وكان يلتزم من إعظام يحيى بن يحيى وبرّه مالا يلتزم الابنُ البارّ بالأَب الحانى ، وكان لايُولِّى القضاءَ أَحدٌ إلا عن رأْيه .

فمن قضاته : سعيد بن محمد بن بشير ، وجَده على القضاء لأَبيه فأَمضاه بعده ، ومحمد بن شَراحيل المَعافرى ، جد بنى شراحيل ، الذى ينسب إليه المسجد والدَّرب ، وأَبو عُمر بن بشير ، وفَرج بن كنانة الشَّذونى ، ويحيى بن معمر اللاهانىّ الإشبيلى ، ثم عزله لرفع يحيى بن يحيى عليه ، وولَّى الأُسوار بن عُقبة الجيَّانى ، ثم ولى بعده جدَّ بنى صفوان القرشىّ ، ثم عزله بكلمة خاطبته بها امرأَةٌ فلم يُنكرها ، قالت له : يا بن الخَلائف ، انظر منى نَظر الله إليك ، فلم يُنكر ذلك ، فذُكر أَنه رَفع ذلك إليه موسى بن جُدير الخازن الأَكبر ، وقال له : تُشرك ى سلطانك من يتَسمَّى باسمك ، فهو الذى أَوجب عزلَه ، ثم ولَّى أَحمد ابن زياد ، جد بنى زياد ، ثم يَحيى بن معمر اللاهانى (١) الإشبيلى ثانية ، ثم يُخامر بن عثمان الجيَّانى ، فاستعفاه بعد أَن وَلى ، فأَعفاه وولَّى أَخاه معاذًا ، ثم ولّى بعده سعيد بن سليمان الغافقى البَلُّوطى .

---

(١) الأصول ، هنا : « اللهانى » .

وكان أخصَّ الناس بعبد الرحمن من أهل الأدب عُبيد الله بن قرلمان ابن بدر الدَّاخل .

وغنَّى زِرْياب عنده يومًا ، وعبيد الله حاضر ، أبيات العبَّاس ابن الأحنف :

قالت ظَلوم سَمِيةُ الظُّـلم   مالِي رأَيتُك ناحلَ الجِسْمِ
يامَن رَمى قَـلْبِي فأَقصده   أَنت العَـليم بمَوْقع السَّهْم (١)

فقال عبد الرحمن : إن البيت الثانى منقطعٌ من الأول غير متَّصل به ، وأوجب أن يكون بينهما بيتٌ يتصل به المعنى ، فقال عُبيد الله بنُ قرلمان بديهةً :

قالت ظَـلوم سميةُ الظُّـلْمِ   مالى رأَيتُك ناحلَ الجسْم
فأَجبتهـا والدَّمعُ مُنحـدرٌ   مِثلُ الجُمـان جَرى من النَّظْمِ
يامَن رَمى قَـلْبِي فأَقْصَده   أَنتْ العَلِيمُ بمَوْقع السَّهْم

فسُر بذلك عبد الرحمن ، وحَباه وكَساه .

وكان عبدالرحمن بن الشِّمر قريبَ المحلّ منه أيضًا لصُحبة كانت له به وهو وَلَد .

وذُكر أنه دَخل عليه يومًا ، وقد ولى الخلافة ، وقرَّبت خاصةُ ابن الشَّمر منه ، وعليه ثوبٌ عراقى وغفارة عراقيَّة (٢) ، فقال له : يابن الشَّمر ، تُظاهر (٣) العراقىّ على العراقى ؟ مافعلت غُفَيرتُك التى كنت

---

(١) ديوان العباس بن الأحنف (ص : ٦٩ ـ طبعة دار صادر) .
(٢) الغفارة : مايغطى به الرأس .
(٣) ظاهر بين الثوبين : طابق بينهما ولبس أحدهما على الآخر .

تَختلف إلىّ بها وأنا ولد ؟ فقال له : قطعتُ منها جُلاً وبُرْقُعًا لبغلك الأشهب ، وليس كان لعبد الرحمن ، وهو ولد، إلا ذلك البغل الأشهب، إذ كان له أخ يكبره (١) ويُرْجَى للأمر .

وحُكى لنا أن عبد الرحمن بن الحكم احْتلم بمدينة وادى الحِجارة، وهو عازٍ إلى الثغر ، فقام إلى الطُّهر ، فلما تقضى طُهره ، والوصيف يجفف رأسه ، دعا بابن الشَّمر ، فلما وصل إليه قال له : يا بن الشَّمر :

ساقك من قرطبة السَّارِى ... باللَّيْل لم يَدْرِ به الدَّارى

فأجابه :

زار مُجيبًا فى ظلام الدُّجى ... أهلاً به من زائرٍ سارِى

فهيّجه ذلك وطَرَبه إلى بعض من كان يأْنس به من كرائمه ، فقوّد على الجيش ابنه الحَكم ، وانصرف إلى قرطبة .

ولابن الشَّمر فى القفول (٢) من هذه السَّفْرة :

إذا ما بدت لى شَمْسُ النَّهـار ... طالعةً ذكَّرتنى طَرُوبَا

فتاة تحـلَّت بحَلى الجَمَـال ... تَحْسبها العينُ ظَبْيًا رَبِيبَا

أنا ابن الهشامَيْن (٣) من غالب ... أَشُبّ حُروبًا وأُطفِى حُروبَا

وعبد الرحمن أول من رتّب اختلاف الوزراء إلى القَصر ، والتكلم فى الرأْى على ما هو جار إلى اليوم ، وكان له وُزراء لم يكن للخُلفاء

(١) الأصول : « يتميره » .

(٢) الأصول : « القفل » .

(٣) نفح الطيب (١ : ٣٢٦) : « الميامين » .

قبله ولا بعده مثلهم ، بعد عبد الكريم بن مُغيث الحاجب ، المتقدم ذكره ، فمنهم : عيسى بنُ شُهيد ، ويوسف بن بُخت ، وعبد الله بن أمية بن يزيد ، وعبد الرحمن بن رُستم .

ولما توفى عبد الكريم بن مُغيث ، فى صدر خلافته ، تنافس الوزراء كلهم فى خُطَّة الحِجابة ، واضطره كلٌّ واحد إلى ألا يُولِّى غيره ، فأَخذته ضَجرة ، فأَقسم (١) ألا يولى واحدًا منهم ، وأَمر بالإقراع بين الخزَّان ، وكان الخُزَّان يومئذ : موسى بن جُدير ، شيخ الخزان ، وابن بسيل ، الملقب بالغمَّاز ، وطاهر بن أَبى هارون ، ومَهران بن عبد ربه ، من البربر ، لاقديم له ، وكان له به اتصال وهو ولد ، فخَرجت إليه القُرعة ، فَوِلّى الحجابة أَعوامًا ثم مات ، فولى عبدُ الرحمن بن غانم ، ثم مات عبد الرحمن بن غانم فصارت الحجابة بَين عيسى بن شُهيد ، وعبد الرحمن بن رُستم ، على ما ذكرناه ، ثم تُوفى عبد الرحمن بن رُستم فاتصلت الحجابة لعيسى بن شهيد إلى أَن تُوفى عبد الرحمن ، وحَجد لمحمد ، رحمه الله ، نحو العامين .

والأَمير عبد الرحمن أَمر بالزيادة فى جامع قرطبة ، فتمَّت فى أَيامه إلا يسيرًا ، أَتمه الأَمير محمد .

وعبد الرحمن بنى الجامع بإشبيلية ، وبنى سور المدينة بسبب تغلُّب المجوس عليها عند دخولهم سنة ثلاثين ومائتين ، وكان دخولهم فى أيامه ، فذعر الناس وفروا بين أيدهم ، وأَخلى أَهل إشبيلية إشبيلية

---

(١) الأصول : « قاسم » .

وفرّوا منها إلى قَرْمونية (٣) وإلى جبال إشبيلية ، ولم يتَعاط أحد من أَهل الغرب مقاتلتهم ، فاستنفر الناس بقُرطبة وما والاها من الكور ، وخرج الوزراءُ بـأَهل قُرطبة ومَن جاورها من الكور ، وقد كان استنفر أهلَ الثغر من أَول حركة المَجوس ، عند احتلالهم أول الغرب وأَخذهم بَسيط لشبونة ، فحلَّ الوزراءُ ومن معهم بقرمونية (١) ، فلم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم ، حتى قدم عليهم أَهلُ الثغر ، وقَدم من أَهل الثَّغر موسى بن قَسِيّ ، بعد استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له ، وتذكيره له بولايةِ للوليد بن عبد الملك ، وإسلام جدّه على يديه ، فلانَ بعضَ اللِّين ، وقَدِم فى عَدد كثيف ، فلما قابل قَرمونية (١) انخزل عن سائر أَهل الثَّغر وعن عَسكر الوزراء ، واضطرب بجانب ، فلما اجتمع أَهلُ الثَّغر بالوزراء سأَلوا عن حركة القوم ، فأَعلموهم أَنها تَخرج لهم فى كُلّ يوم سرايا إلى جهة فِرِّيش (٢) ولقَنْت (٣) ، وإلى جهة قرطبة ومَوْزور (٤) ، فسأَلوا عن مَكمن بمكان آمن (٥) يستتر فيه بقُربٍ من

---

(١) الأصول ، وصفة جزيرة الأندلس (ص : ١٥٨) : « قرمونة » . وماأثبتنا من معجم البلدان (٤ : ٦٩) وانظر الحاشية (رقم : ٣ ص : ٥٤)

(٢) فريش ، بكسر أوله وثانيه وسكون ثالثه ثم شين معجمة ، كذا قيده ياقوت فى كتابه معجم البلدان (٣ : ٨٨٩) بالعبارة ولم ينص على تشديد الراء ، وضبطه بالقلم بتشديد الراء ، وكذا جاء فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤٣) بهذا الضبط الذى ضبطه به ياقوت .

(٣) لقنت : بفتح أوله وثانيه وسكون النون وتاء مثناة . (معجم البلدان : ٤ : ٣٦٣) .

(٤) الأصول : « مورور » . انظر الحاشية (رقم : ١ ص : ٥٠) .

(٥) الأصول : « أن » .

حاضرة إشبيلية ، فدُلّوا على قرية كَنْتُش مَعافر التى بقبلى إشبيلية ، فخرجوا إليها فى جَوف الليل ومكثوا (١) فيها ، وبها كنيسة أولية صَعَّدوا فيها نَظُورًا (٢) فى أَعلاها ، على رأسه حُزمة (٣) حطب ، فلما انبلج الصبحُ خرجت لهم يَدٌ (٤) فيها ستّة عشر أَلفًا منهم ، يريدون جانب موزور (٥) ، فلما قابلوا القرية أشار إليهم النَّظُور (٦) ، فتوقّفوا عن الخروج إليهم حتى أَبعدوا ، فلما أَبعدوا قطعوا بينهم وبين المدينة ، وحُمل السيف على جميعهم .

ثم تقدَّم الوزراءُ فدخلوا إشبيلية ولَقُوا (٧) العامل فيها مَحصورا فى قَصبتها ، فخرج إليهم ، وتراجع الناس .

وقدكان خرج من المَجوس يَدَان(٤) ، سوى اليد المقتولة ، يَدٌ إلى جانب لَقُنت ، ويَدٌ إلى جانب قُرطبة ، إلى جانب بنى الليث ، فلما أَحسَّ مَن فى المدينة من المجوس بالخيل ، وإقبال الجيش وقتل اليَد الخارجة إلى جهة مَوزور (٨) فرُّوا إلى مراكبهم ، فارتفعوا فوق إشبيلية إلى جانب قلعة الزَّعْوَاق ، ولاقوا (٩) أَصحابهم ، ودخلوا المراكب

---

(١) الأصول : « ومكنوا » . (٢) النظور : الشديد النظر .

(٣) الأصول : « خزبة » .

(٤) يد : جماعة .

(٥) الأصول : « مورور » . انظر الحاشية (رقم : ١ ص : ٥٠) .

(٦) الأصول : « الناظور » . والناظور : الناطور ، وهو سيد القوم ، وما أثبتنا يتمق والسياق .

(٧) الأصول : « وألقوا » .

(٨) الأصول : « مورور » انظر الحاشية (رقم ١ ص : ٥٠) .

(٩) الأصول : « وتلاقوا » .

وانحدروا والناس يناوشونهم (١) ويَرمونهم بالحجارة والأَوْظفة (٢) ، فلما صاروا تحت إشبيلية بِميل صاحُوا إلى الناس : إن أَحببتم الفداءَ فكُفُّوا عنا ، فكَفُّوا (٣) عنهم وأَباحوا الفداءَ فيمن كان عندهم من الأَسارى ، ففدى الأَكثر منهم ، ولم يأخذوا فى فدائهم ذهبًا ولا فضة ، إنما أَخذوا الثياب والمأكول .

وانصرفوا عن إشبيلية وتوجهوا إلى ناكور ، وأَسروا (٤) بها جَدًّ ابن صالح ، وفداه الأَميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكم ، وهى يَد بنى أُمية عند بنى صالح ، ثم هتكوا الساحلَيْن جميعًا حتى بلغوا بلد الروم ، وبلغوا الإسكندرية فى تلك السّفرة ، فكانوا فى هذا أَربع عشرة سنةً .

وأَشار الوزراءُ ببُنيان سور إشبيلية ، فوُجّه لذلك عبدُ الله بن سنان ، رجل من الموالى الشاميين ، وكان قريبَ الخاصة بعبد الرحمن بن الحَكم ، وهو ولد ، ثم استخدمه وهو خليفة ، ثم حج البيت وقَدم من الحج ، ووافق هذه الحركة ، فأُخرج لبُنيان السور بإشبيلية ، واسمهُ على أبوابها .

وكسفت الشمس فى أَيام عبد الرحمن كُسوفًا مُرعبًا ، جمع الناس له

---

(١) الأصول : «يناهشونهم» . وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا . والمناوشة فى القتال : أن يتناول بعضهم بعضاً من بعيد .

(٢) الأصول : « والأوظاف » . والمسموع فى جمع وظيف : أوظفة، ووظف . والوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها ، يريد : العظام .

(٣) الأصول : « فكف » .

(٤) مطبوعة مدريد : « وأساروا » .

فى الجامع بقرطبة ، وصَلَّى بهم القاضى يحيى بن مَعمر ، ولم تكن قبله ولابعده صلاة كُسوف بالأَندلس جُمع لها إلى وقتنا هذا .

وكان عبد الرحمن بن الحَكم رأى (١) فى نومه ، عند تمام جامع إشبيلية ، أنه يدخله فيجد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ميتًا مسجًى عليه فى قبلته ، فانتبه مغمومًا ، فسأَل أَهل العبارة عن ذلك ، فقالوا : هذا موضع يموت (فيه) (٢) دينه ، فحَدث فيه إِثْرَ ذلك ماكان من غَلبة المجوس على المدينة .

وحدَّث غيرُ واحد من شيوخ إشبيلية أنهم كانوا يُحْمون سهامهم فى النار ويَرمون بها سماء المسجد ، فكان إذا احترق ماحول السهام سَقط . وآثارُ السِّهام فى سمائه إلى وقتنا هذا ظاهرة ، فلمَّا يئِسوا من إحراقه جمعوا الخشب والحُصُر (٣) فى إحدى النَّفاطات (٤) ليُدخلوا النار وتتصل بالسقف ، فخرج إليهم من جانب المحراب فتى فأَخرجهم عن المسجد ، ومنعهم دخوله ثلاثة أيام ، حتى حدثت الوقيعةُ فيهم .

وكان المَجوس يَصفون الحَدث المُخرج لهم بجَمال تام .

واستعدَّ الأَمير عبد الرحمن بن الحَكم فأَمر بإقامة دار صناعة بإشبيلية ، وأَنشأَ المراكب ، واستعد (٥) برجال البحر من سواحل الأَندلس

---

(١) الأصول : « يرى » .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) الأصول : « والحضر » .

(٤) الأصول : « أحد البلاطات » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا . وهى فى الترجمة الأسانية بمعنى : مركبة هواء .

(٥) لعلها : واستمد .

فألحقهم ، ووسع عليهم ، فاستعدّ بالآلات والنفط .

فلمّا قدمُوا القَدمة الثانية ، سنة أربع وأربعين ومائتين ، فى أيام الأمير محمد ، تلاقوا فى مدخل نهر إشبيلية فى البحر ، فهُزموا ، فحُرقت لهم مراكب ، فانصرفوا .

وكان قد تحرّك فى أُخريات أيام الأمير الحَكم ، رحمه الله ، بجانب موزور(١) رجلٌ ، يقال له : قعنب ، تنسب إليه فتنة ، فَضَرَّب بين العرب والموالى وبين البُتْر والبرانس ، حتى قامت فتنة أطفأها الله فى صدر أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وفرّ قَعنب إلى جانب مارِدة وما والاها ، فأقام فيها أيضًا فِتنة بين البربر وبين المولّدين ، قتله الله فيها ، واتصل بذلك قيام مَحمود ، وأُخت له تُسَمَّى : جَملة ، بقرب وادى تاجة ، بجَوفى مارِدة وما والاها ، فدارت بينهما فتنة ، وكانت جَملة تدعو إلى الطاعة ، وأخوها محمود إلى الخلاف والمعصية ، ثم أطفأها الله بموت محمود .

* * *

وقدم زِرْياب على عبد الرحمن بن الحَكم ، رحمه الله ، وكان بالمحلّ القديم من الأمير محمد بن هارون الأمين ، وكان المأمون الوالى بعد الأمين ، فعدَّد عليه أشياءَ ، فلمَّا قُتل الأمين فَرَّ إلى الأندلس ، فحَلَّ من عبد الرحمن بن الحَكم بكُل مَحل ، وكان أهلاً لذلك فى أدبه وروايته وتقدُّمه فى الصناعة التى كانت بيده .

فمن أخباره أنَّه غنّاه يومًا صوتًا استحسنه ، فقال : يُؤْمَر الخُزان أن يدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار ، فأتاهم صاحبُ الرسائل بالعَهد ،

(١) الأصول : « مورور » . انظر الحاشية (رقم : ١ ص : ٥٠) .

وكان الخُزان يومئذ المذكورين قبل هذا فى التقارع على الحجابة ، غير سُفيان (١) بن عبد ربه الذى خرج إلى الحِجابة ، فنظر الخزان بعضهم إلى بعض ، فقال لهم موسى بن جُدير ، وكان شيخهم : قولوا ، فقال له أصحابه : مالنا قول مع قولك ، فقال لصاحب الرسائل : نحن ، وإن كنَّا خُزان الأَمير ، أبقاه الله ، فنحن خزان المسلمين ، نَجبى أموالهم ، وننفقها فى مصالحهم ، ولا والله ما يَنْفُذ هذا ، ولامنَّا من يرضى أن يرى هذا فى صحيفته غدا ، أَن نَأْخذ ثلاثين أَلفًا من أموال المسلمين وندفعها إلى مغن فى صوت غنَّاه ، يدفع إليه الأَمير ، أبقاه (الله) ، (٢) ذلك مما عنده .

فانصرف صاحبُ الرسائل الخارجُ بالصَّك ، وقال للخليفة : نافق الخُزان ، ثم دخل الخليفةُ ، وقال مثل ذلك للأَمير ، فقال زِرْياب : ماهذه طاعة ! فقال عبد الرحمن بن الحَكم : هذه الطاعة ولأُولينهم الوزارة على هذا الأَمر ، وصَدقوا فيما قالوا ، ثم أَمر بدَفعه إلى زِرْياب مما عنده .

* * *

ومن أَخبار عبد الرحمن بن الحَكم أَنه تكررت الشكوى عليه بولاة المدينة واحدٍ بعد واحد ، فأَقسم أَلا يولى المدينة رجلاً من أَهل قرطبة ، فكَشف عمَّن يستحق هذا من سُكان الكُور من مواليه ، فأُشير له إلى محمد بن السَّلِم ، ووُصف عنده بالحج وحُسن العقل والتواضع ، فبعث فيه وولاَّه المدينة .

(١) فيما سبق (ص : ٧٨) : « مهران » .
(٢) تكملة يقتضيها السياق .

فلمّا رَكب أول يَوْم وُلى فيه المدينة ، إلى القصر، قيل له : قتيل بالقصّابين فى شيرة (١) ، فقال : نُؤْتى به ، فلمّا صار بين يديه أمر بإنزال القتيل فى الرّصيف (٢) لعلّه يَمُر به أَحد ، ممّن يعرفه ، وأمر بتَقديم الشِّيرة إليه ، فنظر إلى شِيرة جديدة ، فقال : علىّ بالحَصّارين(٣) كلهم ، تجارهم وعمّال الأيدى ، فلمّا أُتى بهم قَدّم إلى نفسه وجوههم ، فقال لهم : عمل الشِّيرات والقِفَاف مُشتبه ، أَو يَعرف بعضُهم عَمل بعض ؟ فقالوا له : بل يَعرف بعضُنا أَعمال بعض ، ونعرف أعمال أَهل الكُور من أَعمالنا بقُرطبة ، فأَمر بإبراز الشِّيرة إليهم ، فقالوا : هذه من عَمل فلان ، وهو فى الجَماعة واقف ، فأَمر بتقديمه، فقُدِّم إليه، فقال : نعم ، هذه الشِّيرة اشتراها منى بالأَمس فتىً عليه هيئة خَدمة السلطان ، ووَصْفه كذا ، فقال الشُّرَطُ والمُشترون (٤) : هذه صفة فلان الأَخرس ، الساكن برصافة ، فَنَهض إليه ، وفتش عنه (٥) فوجدت ثياب القتيل عنده .

فلمّا بلغ الخبر عبد الرحمن أمر بتوليته الوزارة مع المدينة ، فلمّا دخل البيت صاروا له كلهم تبعًا فى الرأى .

---

(١) شيرة ، كلمة أسبانية دخلت العربية الأندلسية مع القرن الثالث الهجرى (العاشر الميلادى) وهى فى الأسبانية : سيرا ، ومعناها : السلة الكبيرة ذات اليدين . (المعجم الأسبانى : ١١٥٣) .

(٢) الرصيف ، دخيلة .

(٣) يريد : صانعى الحصر .

(٤) يعنى : التجار .

(٥) الأصول : «عليه» ، وهذا الفعل « فتش » يتعدى بالحرف : عن .

مفاخر الأمير محمد
رحمه الله

ثم وَلى الأَمير محمد ، رحمه الله ، وكان من أَهل الأَناة ، وقلَّة العجلة ، والتنزُّه عن العُقوبة ، مُكْرِمًا لأَعلام الناس من أَهل العلم والموالى والأَجناد، متخيِّرًا لعُماله، إلى أَن ولَّى أَمره هشامًا ، فأُفسد عليه ، فتَرك طريقة اختياره العُمَّال من الكهول والشيوخ ، ومال إلى الأَحداث وشاطرهم أَرباحهم ، فكان العُمَّال يُسمون : المُناصفين ، ففسد بذلك الأَمر ، وكان ماسيأْتى ذكره .

وأَمضى سعيد بن سليمان على القضاء بقُرطبة حتى تُوفى .

ثم ولَّى بعده محمد بن زياد ، وكان صالحًا يشبه سعيد بن سليمان فى الصلاح والفضل ، واستعفى من القضاء ، وخرج من القضاء للحج ، ومات بمصر قبل أَن يَحُج .

وولَّى بعده عَمرو بن عبد الله ، المعروف بالقُبَعَة ، وكان من العَقل والرَّأى بِمَكان كبير ، وكان مُستقضى بإِسْتِجَّة (١) ، ثم عَزله عن القضاء بحادث حَدث فى مجلسه .

وذلك أَنَّ رجلاً يُعرف بالقُصْبى ، كانت له وُجهة ، وكان يُوفده

---

(١) إستجة ، بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقتطان وجيم وهاء ، كذا قيدها ياقوت بالعبارة (١ : ٢٤٢) . وكذا جاءت مضبوطة ضبط قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤) وزيد فيها تشديد الجيم ، الذى لم ينص عليه ياقوت .

عبد الرحمن بن الحَكم إلى قارلة، ملك إفرنجة(١) ، وإلى ملك الروم ، فتوفى عن ثلاثة آلاف دينار ناضة (٢) وترك أيتامًا ، ووجب على القاضى تثقيف المال (٣) وتَحصينه ، فلمَّا جُلب إليه ، وصار بين يديه ، ذَهَبَ المالُ ، فاتَّهم به ابنَه ، المكنى بأَبى عَمرو ، واتَّهم به كاتبه ، حتى قالت الشعراءُ فى ذلك ، فمِمَّا قاله مُؤمن بن سعيد :

لَعَمْرِى لقد أَزْرَى بِعَمْرو أَبوعَمْرِو ... ومِثْلُ أَبى عَمْرٍو بوالده يُزْرِى

وقد كان عَمْرٌو يستضاء بنُوره ... فأَضحى أَبو عمرو كُسُوفًا على البَدْر

فلما بلغ محمدًا الخبرَ أَعظمه ، وساءه مانزل بالأيتام فى مالهم ، لمكان أَبيهم منه ومن أَبيه قبله ، فجَمع أَهل العلم وشاورهم فيه ، فأَشار جميعهم باستحلاف القاضى ، حاشَى بَقِىّ بن مخلد ، فإنه قال : إن من الشَّماتة (٤) بنا عند اليهود والنصارى أَن نَستحلف قاضينا والمأْمون على فُروج نسائنا وأَحباسنا وأَيتامنا ، أَرى للأَمير ، أَصلحه الله، أَن يَجْبُر هذا من بيت المال ، فصار إلى رأْيه وأَمر بعزله ، وولَّى سُليمان ابن أَسود البلُّوطى ، ابن أَخى سَعيد بن سليمان .

وبَعث إليه أَيدون (٥) الخَصِىّ فاستحلفه سرًّا فى بيته فى المُصحف الذى يُنسب إلى عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فدخل على عَمرو بن عبد الله بعض الشيوخ فى إثر خروج الخَصِىّ (٦) عنه فأَنشده :

---

(١) هو كارلس ، ملك فرنسا .

(٢) ناضة ، أى حاضرة .

(٣) تثقيفه : تقويمه .

(٤) الأصول : « الشمات » . والصواب ما أثبتنا .

(٥) الأصول : « يدون » .

(٦) الأصول : « الخليفة » .

تُضحى على وَجَلٍ تُمْسى على وَجَلٍ كُلِ التُّرابَ ولا تَعمل لهم عَمَلاً

فقال له الرجل الداخل عليه : ما هذا المعنى ؟ فقال له : أتانى هذا ، الفَتى الخارج فاستحلفنى فى المُصحف المَنسوب إلى عثمان ، رضى الله عنه ، ووالله إنى لصادق فيما حلفت به .

وجَبر محمدُ الأَمير المال على الأَيتام .

ثم استقضى عَمرو بن عبد الله على سَرَقُسطة ، فأَقام بها أَعوامًا حتى كتب يذكر وصول الضيعة إلى أَهله وولده وضياع ماتخلفه ، فأَمر بالإقبال إلى قُرطبة ، فلما قَدمها عَزل سليمان بن أَسود وأُعيد إلى قضاء الجماعة (١) .

وهو أَول من تَسمَّى بقُرطبة : قاضى الجماعة ، إذ لم يكن من الجُند فيُنسب إليهم ، وكان القضاة قبله من أَجناد العرب ، فكان قاضيًا إلى أن توفى الأَمير محمد .

وكان عبد الرحمن بن الحكم قد بنى الزِّيادة فى الجامع ، على ماتقدَّم ذكْره ، وبَقيت بقيَّة أَتَّمها الأَميرُ محمد ، وخرج بنفسه إليها عند تمامها وصلى فيها ، فقال فى ذلك قَوْمس(٢) :

لَعمرى لقد أَهْدَى الإمامُ التواضعا فأَصبح للدُّنيا وللدِّين جامعًا

وأَمضى عيسى بن شُهيد على الحجابة ، ولم يَختلف مُختلف من شيوخ الأَندلس أنه (لم)(٣) يخدم بنى أُمية بالأَندلس أَكرم منه عنايةً وأَكثرُ مُطاعًا (٤) .

(١) الأصول : « الجمعة » .

(٢) القومس : السيد ، يريد والياً لولاية . (٣) تكملة يقتضيها السياق .

(٤) المطاع : الإطاعة .

وكان عبد الكريم بن مُغيث الحاجب الكاتب فى هذه الصِّفة ، إلا أنه كان يقبل الهديَّة والمكافأة على قَضاء الحاجة ، وكان عيسى ابن شهيد لايقبل شيئًا من ذلك ، وكان عيسى بن شُهيد لايرضى فيمن عُنى به إلا فى غاية التَّشريف .

فمن ذلك : أن عبد الواحد الإسكندرانى قَدم الأَندلس ، وهو حَدث مُتطرف يشير(١) إلى الغناء ، فقصده بتأميله ، وهو حاجب لعبد الرحمن ، فلما عَرف ماقَصد له به قال له : أَمسك عن الغناء فلا تذكره ، معك من الأَدب كفاية ، فأَوصله إلى عبد الرحمن وقَرب مكانه حتى استندمه ، ثم لم تزل عنايته تَصحبه حتى ولاه الوزارة والمدينة .

وكان قد خَرج عيسى بن شُهيد ، وهو وزير قبل الحجابة ، فى أَيام عبد الرحمن إلى إشبيلية مُستنفرًا لأَهلها إلى الجهاد ، وكانت الخُلفاءُ تأمر بإخراج الوزراء للاستنفار إلى الجهاد خاصَّة ، فوافق خروجُه إلى إشبيلية علَّة كاتبه ، فكره أَن يستكتب كاتبًا فى تلك (٢) الحركة ، لئلا يَغم كاتبه ، فلما ورد إشبيلية ، واجتمع إليه (٣) أَهلُها ، قال لهم : تَطلَّبوا (٤) فيما عندكم حَدَثًا يَكْفِنِى الكتابة ، فإنى خَلَّفت (٥) كاتبى عليلا ، فأَشاروا إلى فتىً من أَهلها يُسمى : محمد بن موسى ، من أَهل كنيسة الماء من بيت من العرب ، يقال لهم : : بنو موسى ، ونسبهم غافِق .

(١) كذا .
(٢) الأصول : « فى ذلك » .
(٣) الأصول : « إليها » .
(٤) تطلبوا : اطلبوا .
(٥) الأصول : « تخلفت » .

وكان بَنو عبد الرحمن بن عبد الله الغافِقى ، عامل الأَندلس ، المتقدم ذكره ، يدَّعون أَنهم مواليهم .

فضمَّه إلى كتابته ، فلما امتحنه زَكَا عنده واغتبط به ، فلما تقضَّت حاجته إليه بإشبيلية أَخرج إليه صلةً وكُسوة ، فقال له الكاتب : أَمَلِى فيك فوق هذا ، ولم أَعتلق حَبْلَك ومَذْهبِى الخروجُ من خدمتك .

فقَدِم معه قُرطبة ، وكان أَول ماحرَّكه له ولاية خزانة المال ، ثم نقله عنها إلى وكالة محمد ، فحل من محمد بكُل مكان ، فلما ولى الخلافة استوزره ، واستندم أَخاه مُؤَمِّلاً ، وهو أَبو عبد الله بن مؤَمّل المعروف باليمامة ، وكان من الأُدباءِ العُرفاء (١) .

ولمَّا وَلى محمد بن موسى هذا الوزارة بَعث فى بنى عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقى ، وكان لهم عَدد وثَروة (٢) بِمُرْسانة (٣) الغافقيين ، من شرف إشبيلية . فقال لهم : إنكم تَدَّعون أَمرًا لو كان حقًّا وعلمناه لم يَحلّ لنا الانتفاءِ عنه ، فهلمّ إلى أَن تَخلطونا بأَنفسكم وتدعونا (٤) أَهلا ، فإن كنا مواليكم كما تقولون فنحن منكم ، وإن كنا من العرب فنحن بنو عمكم .

فأَجابه القوم وشكروا على ذلك ، وصاروا أَهلا ، وصاهر بعضهم بعضًا ، وانقطعت تلك الدَّعويات (٥) من يومئذ .

---

(١) العرفاء : جمع عريف ، وهو العالم بالشئ ، يريد : البارزين .
(٢) الأصول : « وثورة » .
(٣) الأصول : « تمرنانة » . وما أثبتنا من صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٨١) . ومرسانة ، بكورة إشبيلية .
(٤) الأصول : « وتدعون » .
(٥) المسموع فى جمع دعوى : دعاوى ، ودعاو .

وكان لِطَرُوب ، أم عبد الله بن عبد الرحمن ، على عبد الرحمن ابن الحكم تحكُّم أوجبت به صرفَ الأَمر إلى ابنها عبد الله ، فكانت تصطنع أَهل القصر من النِّساءِ والفتيان وأَكثر الخَدم (١) طمعًا فى ذلك .

وكان نصر مُبغضًا لمحمد مائلاً مع عبد الله بن طروب ، وكان قد مال عبد الرحمن ، آخر عمره ، إلى ابنه محمد ، فشَق ذلك على نصر ، فأَراد قَتل مولاه ليقدِّم عبد الله ويَقتل محمدًا ، فبعث فى الحَرّانى الطَّبيب وقال له : كيف رأْيك فى حُسن رأْى ؟ فقال له : ذلك الأَمل لو بلغتُه ، فقال له : هذه أَلف دينار واعمل لى بيش (٢) المُلوك ، فلم يُمكنه عصيانه ، وقبض الأَلف الدينار منه ، وعمل البيش(٢)، وأَوصى إلى فخر فأَعلمها بالأَمر ، وسأَلها أَن تحذِّر الأَمير من شُربه ، ثم قال نصر لعبد الرحمن أَن يتوحش للدواء (٣) ، فأَراه ذلك ، فيموت به فى اليوم الثانى ، (فلما أَتاه به) (٤) أَمره بِشُربه ، فَشربه ، ثم قصد إلى داره فَبعث فى الحرّانى فشكا إليه ما دار عليه ، فأَمره بأَخذ لبن الماعز ، فعجّل عليه ، وانقضت حاجته .

فلما تُوفى عبد الرحمن ، رحمه الله ، وكان موته بغتةً ، واطلع على ذلك أَكابرُ الفِتيان ، سَتروا الأَمر إلى أَن أُغلقت أَبواب القصر ، وأُذِّن بالعَتمة ، ثم أَمروا بجميع الفتيان ، صغيرهم وكبيرهم ، فى دار الكامل ، فقالوا لهم : ياصحابنا ، نزل أَمرٌ صغيرنا فيه ككبيرنا ، فأَحسن الله

(١) الأصول : « الخدمة » ، وليس بمسموع .
(٢) الأصول : « بشون » ويبدو أنهـا محرفة عما أثبتنا . وبيش ، بالكسر : نبارت ربما نبت فيه سم قتال .
(٣) توحش للدواء : أخلى معدته ليكون أسهل لخروج الفضول من عروقه .
(٤) تكملة يقتضيها السياق .

مَرّآكم فى مولانا ، فرفعوا أصواتهم بالبكاءِ ، فقالوا لهم : دعوا البكاء ، انظروا بنا لأَنفسنا وللمسلمين قبل ، فإذا تَمَّ ذلك بكينا ، فما ترون ؟ فرفعوا (١) كلهم بلسان واحد : سيدنا وابن سيدتنا ، المربية لنا ، والمُحسنة إلينا ، فقال لهم منهم فتىً من الخُلفاء ،(٢) يكنى بأَبى المُفرِّج(٣) ، وكان له حج وفضل : على هذه رأى جميعكم ؟ قالوا : نعم ، قال لهم : وأنا أُعلمكم أن رأيِى كرأْيكم ، وأَنى أشكر للسيدة لفضلها على دونكم ، ولكنه أمر إن ينفذ فهو سبب لقطع آثارنا من الأَندلس ، وأَن واحدًا منَّا لايخطر فى طريق ، ولايمر بجماعة إلا قال الناس : اللهم العن هذه الوُجوه ، فإنهم ملكوا أَمر المسلمين فوَلَّوا شَرَّ من يعرفونه ، وتركوا خير من يعرفونه ، وقد عَلمتم عبد الله وحاله ، ومن يطوف به ، والله لئن مَلك شيئًا من أُموركم وأُمور المسلمين لَيُحْدِثن فيكم وفيهم الأَحداث ، فيسأَلكم الله عنهم وعن أَنفسكم ، فكأَن ذلك وقَرَ(٤) بأَنفسهم ، فقالوا له : من تراه ؟ فقال لهم : الصالح العفيف محمد ، فقالوا له : هو بهذه الصفة إلا أنه لئيم شديد ، فقال لهم : وبماذا يجود الخِصيان ؟ إذا ولى وملك بيوت الأَموال ، سيجود إن شاءَ الله ، فقالوا له : رأينا ما رأَيت.

فدعا بالمُصحف واستحلف جميعهم ، وكان المخِصيان اثنان قد استبلغا (٥) فى الاستجراح (٦) إلى محمد فى رضى طروب ، وهما سعدون

---

(١) رفعوا ، أى صاحوا . والذى فى مطبوعة مدريد : «فدفعوا» .

(٢) الأصول : « بابن المفرج » .

(٣) الأصول : « الخلفاء » . (٤) الأصول : « وقى » .

(٥) استبلغا ، أى تناهيا ، وهى غير واردة .

(٦) الاستجراح ، أى التجريح . وفى الأصول : « الاستخراج »

وقاسم ، فقال لهم سعدون : إذ قد عزمتم على هذا الرأى فترامو إليه وقولوا له : هب لنا ذنب صاحبنا ، فوعدوه بذلك .

وكانت لمحمد ابنةٌ صغيرة ، وكان أَبوه عبد الرحمن يأنس بها ، وبعث فيها ، فخرج سعدون الفنى من باب الجِنان ومعه مفاتيح باب القنطرة ، ففُتح له الباب ، وعبد الله بن طروب يشرب فى قَصبته ، وكانت داره على باب القَنطرة ، ففتح له الباب وعبد الله يشرب ، وأما محمد فأَلفاه فى الحمام ، فاستأْذن عليه ، فأَذن له ، وخرج من الحمَّام إليه ، فقال له : ماجاءَ بك ياسعدون ؟ قال له : أَتيتك لأَمضى بك إلى ولاية الخلافة عن إجماع منَّا ، تُوفى أَبوك ، رحمه الله ، وهذا خاتمه ، فقال له : ياسعدون ، اتَّق الله ، ولم تبلغ عداوتك لى (١) إلى لأَسفك دمى ، دَعنى ، بلد الله لى واسع ، فأَقسم له بكُل يمين أَنه ما أَتى إلا عن إجماع وعن رضى من جميعهم به ، وحَكى له أَنه أَخذ بَيعة (٢) جميعهم وأَيمانهم فى المصحف ، وما أَتيتك إلا وقد سأَلت أَصحابى أَن يُؤثرونى بالإقبال فيك لأَحُلَّ من نفسك بعض موجدتك علىّ ، فقال له : قد عفا الله عنك ، وقَبل منه ، وقال له : أَمهل علىّ أَبعث فى وكيلى محمد ابن موسى ، المتقدِّم ذكره (٣) ، فبعث فيه فأَعلمه الخبر ، فقال له وكيلُه : هذا غَرَر وخطر ، كيف تَخْطِر بباب ابن طروب وأَعوانه وحفدته بحَضرته ؟ قال له : وما تراه ؟ فقال : نَمْضى إلى يوسف

---

(١) الأصول : « إلا إلى » .

(٢) الأصول : « بيعهم بيعة » .

(٣) هذه العبارة : « المتقدم ذكره » من كلام المؤلف .

ابن بَسيل فنأْخذ أَعوانه ، وكان عددهم ثلثْمائة ، فتوجَّه إليه وأَنْهى وصية محمد ، فقال له : يا أَباعبد الملك ، هذه منازعة ، وإنما نحن موالى من دخل القصر ومَلكه ، فانصرف وأَعلمه كلامًا ، فقال له وكيله : من لم يخاطر لم يَربح ، اركب على عون الله ، فركب متقنِّعًا ، وسعدون بين يديه ، ووكيله عند ركابه ، فلما قابلوا دار عبد الله ابن طروب ، والغناء والزمر فى القصبة ، أَنشد محمد :

فهنيئًا لك الذى أنت فيه والذى نَحن فيه أيضًا هَنَانَا

وكان أَعوانه يشربون فى الغرفة على باب الدار ، فأَحسوا بالحركة ، ففتح أَحَدُهم الباب ، ونظر إليهم فقال : من هؤلاءِ ؟ فانتهره سعدون ، وأَغلق الباب ، ولم يشك هو وأَصحابه أَنها ابنه محمد ، فتوجَّه إلى القصر ، وكان محمد فى إقباله من داره إلى باب القنطرة ، طَرح القفل على الباب ، والتفت إلى وكيله فقال له : يامحمد ، التزم هذا المكان حتى أَبعث إليك من يَضبطه معك ، وتقدَّم فدخل ، فلما صار فى أُسطوان باب الجِنان قام ابن عبد السَّلم البواب فقال لسعدون : أَرى شخصًا غير شَخص الابنة التى كانت تدخل علىّ ، وليس والله يجاوز هذا الباب إلا من أَعرفه ، فقال له : ويحك ! هكذا يكشف الحرم ؟ فقال له : لست أَدرى ماالحرم ؟ وأَشار إلى الأَمير بإخراجه ، فكشف محمد وَجهه وقال له : يابنعبدالسِلَّم ، اتق الله فى ، فإننى أَتيت لوفاة والدى ، رحمه الله ، قال : هذا والله أَكبر ، ليس بالله تَتجاوز هذا الباب حتى أَعرف إن كان أَبوك حيًّا أَو ميتًا ، قال له الخليفة : ادخل وأَغلق الباب على محمد ، وأَبقه(١) فى الأُسطوان ،

---

(١) الأصول : « وأبقاه » .

ودَخل معه سعدون الخصِى (١) ، حتى وقعت عينه على عبد الرحمن ميتا ، فبكى ودعا وخرج ، وقبَّل على يد محمد وقال له : خار الله لك وللمسلمين فيك .

فدخل وتمتّ بيعته تلك الليلة ، وبعث فى الوزراء والخدم ، والقرشيين (٢) والمَوالى .

واستوزر فى ذلك الصباح محمدبن موسى وكيله هذا ، وعبد الرءُوف ابن السلَّم ، جدّ بنى عبد الرؤوف .

وفر ابن عبد السَّلم البواب خوف العقوبة ، فلما عرف محمد بذلك أَمر بتأمينه وحبَاه وكَساه على ماكان منه فى تلك الليلة ، وقال : ليت خدم القصر كلهم مثل هذا .

وأَمضى الأَمير محمدٌ رجال أَبيه على الوزارة ، وعلى الكتابة عبد الله ابن أُمية بن يزيد ، نحو العامَين ، ثم أَقعدته علَّة عن الركوب أَعوامًا أَقام فيها القَوْمس(٣) ابن أَنْتُنيان النَّصرانى فى الخدمة (٤) ، فلما تُوفى عبد الله ابن أُمية قال الأَمير محمد : لو أَن القَومس (٥) كان مسلمًا ما استبدلناه ، فلما بلغه الخبر أَشهد على إسلامه ، فولاَّه الكتابة .

---

(١) الأصول : « الخليفة » .

(٢) الأصول : « والقريش » .

(٣) الأصول : « قومس » على أنه اسم ، والقومس : لقب وظيفى ، بمعنى أمير البلد أو شيخه .

(٤) تكملة يقتضيها السياق .

(٥) الأصول : « قومسا » .

وكان قَوْمس ، مع بلاغته وقيامه بالخدمة ، يأوى إلى عَقل ثقيف ، وكان يتعرض هاشمًا فى كثير من أمره حتى شَجِى به .

فحدَّث القائد ابن أَبى عبدة أنه كان جالسًا عند هاشم ، حين (١) دخل عليه محمد بنُ الكَوثر ، وهو أَحد بلغاء الأَندلس، فقال له : يا أَبا عبد الله ، إن من عجائب الزمان أن يكون مثلك فى قدرك وأُبوتك ومنصبك خِلْوًا من الخدمة ، ويكون صاحب قلم بنى أُمية الأَعلى وكاتبهم العظيم القَوْمس النصرانى ابن أَنتنيان ، المُشْتَكى(٢) من هذا إلى الله تبارك وتعالى ، فأَوقد (٣) الشيخَ وانصرف إلى بيته ، وكتب إلى محمد : إن من أَعجب العجب أَن يبلغ خلائفَ بنى العباس بالمشرق أَنَّ بنى أُمية بالمغرب اضطروا فى كتابتهم العظمى وقلمهم الأَعلى أَن يولّوه القومس النَّصرانى ، ابن أَنتنيان ، ابن يليانة النصرانية ، فياليت شعرى ما الذى أَغفلك(٤) عن اختيار الأَفضل، ومن تتزين به الخدمة ، ومن يُشفع إليها بوراثة النعمة ، أَنا أَصلح لها ، وحامد الزجالى ، وابن مُزين ، ومحمد ابن سفيان ، ومن رجال الأَجناد : أَضحى بن عبد اللطيف ، فى إلبيرة ، وابن أَبى فُريعة، وابن جوشن ، برَيَّة ، وابن أَسيد بشَذونة ، وحجَّاج بن عُمر بإشبيلية ، هؤلاءِ أَبناء نِعم الخلفاءُ من تزدان بهم الخِدمة ، وتقع منهم فى موقعها النِّعمة ، اختر من شئت ، فهؤلاءِ لها أَهل .

فلما قرأَ محمد الكتاب قال : يا أَيدون ، تعرَّف إن كان حامد

---

(١) الأصول : « حتى » . (٢) الأصول : «المتكى » .

(٣) أوقد : أى أثار وهيج .

(٤) الأصول : « أعلمك » .

الزجَّالى حاضرًا ، فوُجد ، ثم قال له : مُر بالصُّعود (١) إلى رُصافة ، وتعهد إلى حامد بأَن يُصبح (٢) إلى باب الجبل برُصافة ، فَتم ذلك ، وخرج محمد فى السحر ونزل برُصافة متراوحًا حتى صلَّى الصبح ، وكانت الخيل بيد هاشم . فلزمه حُضور الركوب ، و (بينا) (٣) هو واقف على باب الجبل ينتظر خروج الأَمير ، إذ وقعت عينه على حامد . وكان صديقا له ، فقال لوصيف له : امض إلى أَبى مروان وقل له : يقول لك مولاى : ماجاء بك هاهنا ؟ قال : أَتانى عهدٌ بأَن أُصابح المنيَّة .

فلما خرج محمد واستقبل الجبل ، قال : يُدْعَى بحامد ، فتقدم وسلم وصار إلى مُراكبته ، وقال له : تَردنى لك كُتب تُعجبنى ، فهل تهمّمت بشئ من أُمور الكتابة ؟ فقال له : تنصرف بِغَد، وليتك الكتابة ، ودعا بأَيدون وقال له : تبعث معه من يُنزله فى بيت الكتابة، ثم دعا بهاشم فقال له : رأَينا إعادة خطة الكتابة إلى طريقها ، وقد ولَّيتها حامدًا ، فقال هاشم أَيضًا ، بما حضره مِمَّا زين به أَمر حامد ، وقال له محمد : إلا أَنه قبيح الفَطس(٤) جدًّا ، فقال له : يامولاى ، هو أَكيَس له .

وانحرف الأَمير إلى الرصافة ، فأَمر بالكتاب إلى حامد يأمره بالكتاب إلى عبد الله بن حارث ، وهو صاحب الثغر ، بالحزم والعزم والتحفظ من بنى قسى ، إذ كانوا المعاندين فى ذلك الجانب ، فشَعر هاشم بالكتاب ، فكتب إلى حامد : أَتتك محنةٌ يمتحن بها صبرك وقيامك بما قُلْدته ، فاركب إلى دارك ، واجتمع مع كل من ترجو عَوْنَه ، فركب وبعث فى

---

(١) الأصول : « بالصيد » . (٢) الأصول : « بصابح » .
(٣) تكملة يستقيم بها الكلام . (٤) الفطس : المجاهة .

المذكورين فى الكتابة ، وكانوا له إخوانًا ، فأَراهم ما أُمر به ، وكلّمهم أن يخاطب كل واحد منهم عن نفسه كأَنه المَأمور ، ففعلوا ، ثم جُمعت النسخ ، فاختار منها نسخة واحدة ، وغدا بها إلى القصر ، فلما صار وأوصلها وقعت بموضع استحسان ، وأُمر له بِفراش للوزارة ، وفيه يقول مؤمن بن سعيد :

أَىّ الأُمور برأى حامدْ   لم تَنتظم نَظْمَ القلائدْ

وكان أَكثرُ وزرائه مقدَّمين فى العقل والفضل وحُسن السيرة ، كعبد الله بن أُمية ، وزير أَبيه ، وكاتبه ، ووليد بن غانم ، وأُمية ابن عيسى بن شهيد .

وكان المتقدَّم عندهم محمد بن موسى الإشبيلى ، وكان يُديل فى المدينة بين أُمية بنِ عيسى ، ووليد بن غانم ، لمعرفته بفضلهما ، وكانا لايَنفذان فى أَحكام المدينة والأُمور العظام فيها إلا بما وافق الحقَّ .

وذكر أَن أُمية قيل له : إن هاشم بن عبد العزيز طالب رجلاً بدار تجاوره ، فامتنع عليه ، فحبسه فى داره ، فدخل أُمية بيت الوزارة ، فقال لأَصحابه : بَلغنى أَن بعضهم منعه جار له داره فحبسه عند نفسه ، وبالله لئن صَح هذا عندى لأَركبنّ إلى الدار ولأُغيرن على مافيها ولأَهدمنَّها . فأُرعد هاشم فى فراشه ودعا بوصيفه ، وقال له : اقْطَع (١) إلى الدار وأُطلق المَحبوس .

---

(١) اقطع : أى طر ، يقال : قطع الطائر قطوعاً ، إذا طار من بلد إلى بلد .

وفَرّ رجلٌ من أَهل العلم مِن بعض أَهل الكور أمام عامله إلى قرطبة ، فكتب ذلك العاملُ إلى الأَمير محمد يُغريه به ، ويقول : إنه أَفسد عليه حشْده ، ولايَصْلح لى أَمرى إلا بضمه إلى السجن ، فأَمر بذلك أُمية ، فقال للخليفة الخارجُ إليه [١] : لا والله ، ما أَحبس رجلاً من أَهل العِلم والرواية فَرّ عن جَوْر ظالم مشهور بالظلم . ولو كان فيه خيرٌ مافَرّ مثله عنه .

فأَمر الأَمير محمد بالكتاب إلى ذلك العامل يُوبِّخه بما فعله واضطره إليه .

واستخلفه الأَمير محمد فى بعض المغازى . وأَبقى بعض ولده فى السَّطح ، وكان للولد وكيلٌ متدلل ، فتظلَّم منه إلى أُمية ، فأَوصى إلى الولد بأَن يزجره ويَمنعه من الاستطالة ، فلم يَنزجر ، فلما تكرَّرت الشَّكوى به بَعث فيه وأَباحه . فأَهبط إليه فتىً من فتيانه يقول له : يقول لك الولد : بالله لئن لم تكفّ عن وكيلى لأَهبطنَّ بنفسى وبمن معى ولأَغلنَّك [٢] عليه ، فضحك .

وكان لم يُر فى المدينة ضاحكًا إلا لهذا الأَمر يومئذ ، ولأَمْرٍ نزل بعدُ لايَحسن ذكره .

فقال للرسول : بالله الذى لا إله إلا هو ، لئن جاوز باب السطح حيث ولاَّه أَبوه لاطَّرحناه فى الدُّوَيرة فى كلبين يكون بهما حتى يَقْفِل أَبوه ، أَو يأْتى عهده بإِطلاقه ، ثم قال : علىّ بالبوابين ، فأَمرهم بمثل ذلك ، وتمادى فى تأْديب الوكيل حتى استْبلغ فيه .

---

(١) يعنى : الخارج إليه الأمر .

(٢) غله : قيده .

ووافقت مجاعةٌ سنة ستين وليدَ بنَ غانم ، والى المدينة ، وكانت سنة لم يُزرع فيها بالأندلس حبَّة ولارُفعت(١) ، فأوصله محمدٌ إلى نفسه ، فقال له : العُشور ، ماترَى فيها ؟ قال : إنما يُؤخذ العُشور بسبب الزراعة والرَّفع ، ولم تزرع رعيتك ولارَفعت ، فأنفق من أهرائك(٢) ، وبيوت أموالك ، فلعل الله أن يأتى فى العام المُستقبل بخير ، فزأمه (٣) ، فقال : لا والله ، لاتقلَّدت تحريك حبَّة واحدة منه .

واتصل الخبرُ بالناس وما دار فيه ، فرفع حمدون بن بَسيل ، المعروف بالأشهب ، وكان من الطُّغاة البُغاة ، فسأَل ولايةَ المدينة على أن يتصمن إيراد العُشور ، حتى هَتك السُّتور وضَرب الظُّهور ، وقتل الأنفس بالتعليق ، فَفَرَّ الناس إلى الله ، عزَّ وجل ، منه ، فأماته الله بغتة وقبضَه إلى سخطه .

فاتصل الخبرُ بمحمد وما نال الناس منه ، فأوصل إلى نفسه وليدَ ابنَ غانم ، واعتذر إليه ، وسأله أن يرجع إلى المدينة ، ليُصلح ما أفسد الميت قبلَه ، فقال : أما وقد صِرْت عندك فى محلٍّ من يديله حمدون ابن بَسيل أو مثله ، فلا والله لاخدمتُك فى المدينة أبدا ، فولَّى غيرَه .

فاضطربت الأحوالُ فى آخر أيامه ، فأول فتنة حدثت عليه خروج عبد الرحمن بن مروان ، المعروف بالجلِّيقى ، من قرطبة إلى المغرب ، وكان فى جُملة الحَشم ، وكان أصله من جهة الغَرب ، وكان من المولَّدين ،

---

(١) يعنى : جنيت .

(٢) الأهراء : جمع هرى ، بالضم ، وهو بيت كبير تجمع فيه الطعام .

(٣) زأمه ، أى بهره . والذى الأصول : « فرأمه » ، تصحيف .

وكان بجانب الغرب أيضًا رجلٌ من المولَّدين يُعرف بسعدون السُّرنباق ، وكان المولَّدون يُغلون فيه فيقولون : إنما هو السُّرور الباقى .

وكان لابن مروان من العقل والكَيد والبَصر بالشر بحيث لامُتقدَّم له فيه ، فاجتمع بالسُّرنباق ، وتضافرا على الشرك ، وأَحدثا فى الإِسلام أَحداثًا عظيمة يَطول ذكرها ، وصارا فى القَفر بين الإِسلام والشِّرك .

وخرج الأَمير المُنذر ، وهو ولى عهد ، وهاشم قائد الجيش معه لمحاربتهما ، فلما قَرب الجيشُ منهما تقحم عليهما هاشم فى الوَعر ، فهزماه فيه ، وأَسرا هاشمًا ، وقُتل حوله من أَشراف الموالى والعرب خمسون رجلاً ، ورفعاه إلى الفُنش(١) فافتدَى منه بمائة أَلف وخمسين أَلفا .

ثم ظهر ابنُ مروان ظهورًا صار بذلك رئيس المولَّدين فى الغرب ، وصار السُّرنباق تابعًا له ، وخرج بعد قُفول (٢) العسكر عنه فى جيش عظيم ، فبلغ إلى كورة إشبيلية ، وتوسط أَعمالها ، وغنم حصن طُلْيَاطلة (٣) بمن فيه ، ثم تقدم فشق كورة لَبْلَة (٤) ثم دخل أَكشُونية (٥) وضبط بها

(١) مطبوعة مدريد : « الفونش » .

(٢) الأصول : « قفل » ، وليس بمسموع .

(٣) طلياطة ، بفتح أوله وسكون ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وبعد الألف طاء أخرى . (معجم البلدان : ٣ : ٥٤٤) .

(٤) لبلة : بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى . (معجم البلدان : ٤ : ٣٤٦) .

(٥) كذا فى معجم البلدان (١ : ٣٤٣) وقد قيدت فيه بالعبارة : بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وياء خفيفة . وهى فى صفة جزيرة الأندلس : «أكشونبة» ، ولم تقيد فيه بعبارة ولا ضبط . فلعلها تصحيف عن رواية معجم البلدان . وفى الأصول : « أكشنوية » .

جبلاً ، يقال له : منت شاقر ، فجبل الغرب كله ، وأفسده ، فلما طال غم الأَمير محمد به وجه إليه أَمينًا ، فقال له : ياهذا ، قد طال غمَّنا بك وعملك بنا ، عَرِّفنا بمذهبك ، فقال لهم : مذهبي أن يُباح لى البَشرْنَل أبتنيها وأُمدنها وأُعمرها وأُقيم الدعوة ، ولاتلزمى جباية ولا طاعة فى أمر ولا فى نَهى .

والبَشرْنَل هذه : تقابل بَطَلْيُوس(١) ، وبينهما النَّهر .

فأُجيب إلى أَن يَبنى بَطَلْيُوس دون النهر ، ليكون فى حِزب الإسلام على ما شرطه ، فَفعل وصفت طاعته ، إلى أَن طمع هاشم فى أَخذ الثأر فيه ، وقال للأَمير محمد: إنما كان تعاصى أَمر ابن مروان علينا بأَنه كان هو وأَصحابه على ظُهور خُيولهم يتنقلون من موضع إلى موضع، وقد صار الساعة فى مدينة ودُور وقُصور وبساتين مُحيطة بها ، فنخرج إليه ، فإنى أَرجو أَن يُظفرنا الله به ، ويخرج معى الولدُ عبد الله ، فقد كان لابن مروان إليه انحرافٌ عند كونه بقُرطبة ، فخرج إلى إشبيلية ثم انتقل إلى لَبْلة .

فلما بلغ ابنَ مروان الخبرُ أَدرك الأَمر بعقله وذكائه ، فكتب إلى الأَمير محمد : بلغنى أَن هاشمًا خَرج إلى جهة الغرب ، ولست أَشك أَنه قد أَطمعه فى أَخذ الثأر منى كَونى فى حصن وغَلق ، وبالله لئن جاز لَبْلة إلى لأُضرمن بَطَلْيُوس بالنار ، ثم أَعود إلى حالى الأَول معك .

فلما قرأَ محمد كتابه أَمر بصرف الولد ، وصَرف هاشم ، من الطريق ، فانصرفا .

---

(١) بطليوس ، بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة.
(معجم البلدان : ١ : ٦٦٤) .

وثار عُمر بن حفصون بِبُبَشْتَر (١) من كورة رَيّة ، وكان أَبوه من مُسالمة أهل الذمة .

وكان سبب ثورته أَنه ظَفر به أَحد بنى خالد ، المعروف بدَوْنكير ، وكان عامل ريَّة ، فى فساد أَخذه فيه ، فضربه بالسياط ، فجاوز البحر إلى تاهَرْت(٢)، فصار فيها عند رجل من الخيَّاطين ، كان أَصله من رَيّة ، وكان يَخيط عنده ، وبينما هو جالس فى حانوته إذ أَتاه شيخٌ معه ثوبٌ يقطعه ، فقام إليه الخيَّاط ووضع له كرسيًّا ، فقعد عليه ، فسمع الشيخُ كلامَ ابن حفصون ، فأَنكره عند الخيَّاط ، فقال له : مَن هذا ؟ فقال : غلامٌ من جيرانى برَيّة أَتى لِيخَيط عندى ، فالتفت الشيخُ إليه فقال له : متى عَهدك برَيّة ؟ قال له : منذ أَربعين يومًا ، قال : تعرف جبل بُبَشْتَر ؟ فقال له : أَنا ساكنٌ عند أَصله ، قال له الشيخُ : فيه حَرَكة ؟ قال : لا ، قال : قد أَرى(٣) ذلك ، ثم قال له : هل تعرف فيما يُجاوره رجلاً يقال له : عُمر بن حفصون ؟ فذُعر من قوله ، وأَحدَّ الشيخُ النظرَ إليه ، وكان ابن حفصون أَقضم (٤) الثنيَّة ، فقال له : يامَنحوس ، تُحارب الفقر بالإبرة ، ارجع إلى بلدك فأَنت صاحبُ بنى أُمية ، وسيلقون منك غيًّا وستملك مُلكًا عظيمًا .

---

(١) ببشتر ، بالضم ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وراء . (معجم البلدان : ١ : ٤٨٦) .

(٢) تاهرت ، بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان (معجم البلدان : ١ : ٨١٣) . وفى الأصول : « تيهرت » ، وهى لغة فيها .

(٣) الأصول : « قد أزله » .

(٤) أقضم : مكسور .

فقام من فوره ، وذلك خوفًا أن ينتشر الأمر وأن يقبض(١) عليه بنو أبى اليقظان ، وكانوا مالكى تاهرت ، وولاؤهم لبنى أمية ، فأخذ خبزتين من الخباز وألقاهما فى كُمه ، وخرج فأتى الأندلس ، فلم يُقدم على أن يظهر لأبيه ، إذ كان شديدًا عليه ، فأتى عمّه مظاهرًا ، فأعلمه بما أعلمه به الشيخُ ، فقال له : وعسى .

فجَمع له من أحداثه نحو الأربعين رجلاً ودخل الجبل فضَبطه .

وثار فى جبل الجزيرة بِبُيَشْتَر (٢) رجل يقال له : لُبّ بن مَندريل ، وآخر يقال له : ابن أبى الشّعراءِ ، فخرج هاشم فاستنزلهما ، واستنزل ابن حفصون ، وقَدِم بجميعهم قرطبة ، وألحقهم فى الحشم .

وغزا ابنُ حفصون فى ذلك العام مع هاشم إلى الثّغر ، فلقوا العدو بموضع يقال له : فُنْت فَرْب ، فدارت حرب عظيمة أبلى فيها ابن حفصون بلاءً حسنًا ، فوقعت عليه عين بعض الشيوخ من أهل الثغر ، فكَشف عنه فأُخبر به ، فدنا إليه فقال له : ارجع إلى حِصْنك الذى نزلت منه فليس يُنزلك منه إلا الموت ، وستملك من الأندلس قطيعًا (٣) عَظيمًا ، وسُتحارب قُرطبة على بابها .

وفى هذه الحرب ظهر طَريف ، المعروف بالوليد (٤) ، وهو حينئذ وصيف لمروان بن جَهور ، فانصرف ابنُ حفصون من تلك الغزاة ،

---

(١) الأصول : « يتقبض » .
(٢) الأصول : « ببورته » .
(٣) أى : أرضاً يقتطعها .
(٤) الأصول · « بالوليد فان » .

وولى المدينة محمدُ بن وليد بن غانم ، المعروف بالبُرعانى ، وكان مباعدا لهاشم ، فجعل يتعرض لكل مايَغُم (١) هاشمًا فى خواصه وصنائعه ، فخرج (٢) ابن حفصون من نِزاله إلى نِزاله ، وأمر الهَرائين (٣) أن يُعطوه من شر الأَطعمة .

فحدَّث أَحمد بن مَسلمة ، قال : أَخبرنى عمر بنُ حفصون ،قال : أخذت من الخبز المعمول من ذلك الطعام فتصدَّيت به إلى ابن غانم صاحب المدينة ، فقلت له : يرحمك الله ، يمكن أَن يُعاش من هذا ؟ قال : فقال لى : من أَنت ياشيطان ! فانصرفت عنه ، ولقيت هاشمًا سائرًا إلى القصر ، فأَعلمتُه ، فقال لى : جَهِلَك القومُ ، عَرِّفهم بنفسك .

فانصرفتَ إلى أَصحابى فقصصتُ عليهم كلَّ ذلك ، وخرجت عن قرطبة يومى ذلك ، وأَتيت عمِّى مظاهرًا ، وأَعلمته بما قال هذا وذاك .

وكان هاشم قد أَمر عند إنزالى ابن حفصون من بُبَشْتر ببُنيان دار فى أَعلى الجبل ، ورتب فيها التُّجوبى العريف ، فجَمع له عمُّه أَحداثًا إلى من كان معه ، فطردوا التُّجوبى من الجبل ، وأَخذ ابن حفصون جاريته المعروفة بالتُّجويبة ، وهى أُم ولده ، المكنىّ بأَبى سُليمان .

وظهر أَمره واستفحل فى كل يوم ، حتى ملك مابين الجزيرة وتُدمير ، وضَبط عليه التَّجيبى فى حين هبوطه صخرةَ جوذارش ، بغربى بُبَشتر ، فكان على أَن يُخرجه من الجبل حتى قفل(٤) عنه وتولَّى غيره .

---

(١) الأصول : « كلمامغم » . (٢) الأصول : « فأخرج » .

(٣) الهراعون : القائمون على الأهراء ، وهى بيوت حفظ الطعام .

(٤) الأصول : « أقفل » .

من أخبار عيسى بن شهيد

ثم نرجع إلى أخبار أُمية بن عِيسى بن شهيد .

فمن أَخباره أنه خَطر بدار الرهائن المُجاورة لباب القنطرة ، ورهائن بنى قَسى يُنشدون شِعر عنترة ، فقال لبعض الأَعوان : إيتنى بالمؤدب ، فلما نَزل فى فراش المدينة ، وأَتاه المؤدِّب ، فقال له : لولا أَنى أعذرك بالجَهل لأَدبتك ، تَعْمِد إلى شياطين قد شَجِى الخلفاءُ بهم فتروبهم الشعر الذى يَزيدهم بصيرةً فى الشجاعة ، كُفَّ عن هذا ولاتروِّهم إلا خمريَّات الحسن بن هانئ وشِبهها من الهَزْل (١) .

وكان يُحكى عنه أنه كان يمرّ فى طَريقه إلى القصر بالأَعرج بن مطروح الفقيه ، وهو صاحب الصَّلاة يومئذ ، فكان إذا سلَّم أُميةُ بن عيسى عليه جاوبه بما يكره ، فحُدِّث أُمية بذلك ، فأَمهل حتى حان وقت الحصاد والدِّراس ، وقال لعامل العُشور : مُر أهل قرية فلانة بأَن يتعدَّوْا على أندر (٢) ابن مطروح إذا ذرَّى ، ثم يهبطون إلى قرطبة ويَدعون عليه العُشور ، ففعلوا ورفعوا (٣) إليه ، وقد خَرج ابن مطروح ، وهو يقول لهم فى طريقه : ياقتلة الأَنبياء .

---

(١) الأصول : « الأهزال » .

(٢) الأندر : البيدر ، وهو مكان تجميع القمح ودوسه ، أو هو أكداس القمح .

(٣) الأصول : « ورافعوا » .

فلما دخل إليه فى غرفة المدينة أدناه وقَرب مجلسه ثم قال له : يا أَبا عبد الله ، بالله لولا هذا الظالم وأَمثاله ، وقَصْرنا أَيدى الظلمة والمتعدِّين لسلبت رداءك من دارك إلى الجامع ، على قرب مابينهما ، فأَنت ترى جيرانَك فى البادية لم يَحفظوا علمك ولانَسبك ولا صلاتك للمسلمين ، واعلم أَنه يَقدر على الشرِّ أَكثرُ الناس ولايقدر على الخير إلا من وَفقه الله ، وبى وبأَمثالى يَدفع الله عنك وعن أَمثالك .

فعلم الشيخ من أَىّ أُتى عنده ، وقال : تائب إلى الله ، عز وجل ، ثم إليك ، فقال له : قَبِل الله توبتك ، ثم أَمر العامل بأَلاَّ تَضيع له حبَّة فما فوقها ، فانصرف إليه كُلٌّ ما أُخذ منه .

من فعلات الأمير محمد

ومن كريم فعلات الأَمير محمد أنه غَزا الثغر ، فقال له رجل من تجار قرطبة ، من القلاسين(١) ، يعرف بابن الباقر : أَيها الأَمير ، قال الله تبارك وتعالى : (الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتَّبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) (٢) .

فقال له الأَمير : رحمك الله أَيها الشيخ ، والله ماعَدَوْتَ مافى نفسى ، غير أنه لارَأى لمن لا يطاع ، ولست أَستطيع أن أُجاهد وحدى .

فقال له العُتبىّ الفقيه : والله ما أَراه قذف بها على لسانه إلا مَلَك ، فاستخر الله فى يومك .

وخرجوا عنه ، ففَرّ إلى الله ، عز وجل ، فى يومه ذلك وفى ليلته ، فأَراه الله الرشاد فى المُناجزة والمقارعة ، فأَعاد إلى نفسه أهل الثغر لما (٣) أصبح ، فقال لهم : إن كنتم تَشكرون للخلفاء ، رضى الله عنهم ، نعمةً ، وترتجون منى مُكافأَةً ، فأَريحونى من هذا العدوّ وجدُّوا جَهدكم على (٤) إزالته من الفج ، فإن انتحارى واتكائى على سيفى أَهونُ علىّ من أن يقال : ولول (٥) عليه العدوُّ من شاهق الجبل ففَرّ عنه .

وكان مُنذرٌ مُحَبَّبًا(٦) إلى العامة بالسَّماح الذى كان فيه ، فقالوا له :

(١) القلاسون : جمع قلاس ، وهو صانع القلانس .

(٢) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) الأصول : « كما » .

(٤) الأصول : « عن » .

(٥) ولول ، أى صاح .

(٦) الأصول : « مجيبا » .

والله لا نَلْق (١) العدوَّ ، ولكن تأمر صاحب الحَشم بإرجاء (٢) إخفاء الحشم، وتأمر أمراء الأَجناد بمثل ذلك ، لتقدّمهم فى صدورنا . ففَعلوا ودارت حروب عظيمة .

ثم أنزل الله النصرَ عند ارتفاع النهار ، فهُزموا وأُجلوا عن الفَج وما اتَّصل به ، ولم يُؤذّن بالظهر إلا وقد اجتمع على باب المَظل ثلاثون ألف رأس ، وصَعِد المُؤذِّن وأَذّن بالظهر على الكدُس (٣) .

وحَدث على الأَمير محمد فى صدر ولايته أحداث ، كانت أَحداثٌ (٤) من بنى السليم بشَذونة ، لما أتاهم خبرُ عبد الرحمن بن الحكم ، وكانوا مع أَحداث مثلهم (٤) على شراب ،نهضوا إلى العامل وهجموا عليه فى دار الإمارة ، وأَخذوا قطيعًا من الجباية ، ووقع الخبرُ على شيوخهم وأَهل العقل منهم ، فقصدوهم وانتزعوا المال منهم وصرفوه إلى العامل ، واتصل الحبر بالأَمير محمد فوجّه من أَتى بهم ، فصاروا فى حَبسه نحو العشرين سنة .

فلما طال بهم الحبسُ استألفوا أَهل الحبس ، وحَرقود ليلا ، وخرج فى آثارهم فلحقوا فى بعض قُرى القَنبانية ، وكان الآخذ لهم محمدُ ابن نصر ، صاحب الحشم ، حتى لَحق بهم هاشمٌ ، فجعل السيف على جميعهم ، حاشى بنى السَّليم .

فلما أَتى بهم إلى باب السُّدة أَمر الأَمير محمد بضَرب رقابهم .

---

(١) الأصول « ليلق » (٢) الأصول : « بارجال » .

(٣) الكدس ، بالضم : المجتمع من كل شئ ، يريد رؤوس القتلى .

(٤) أحداث : جمع حدث ، محركة ، وهو الصغير السن .

وثار عبيدُ الله بن عبد العزيز ، أَخو هاشم ، عليه فيمن كان يطيف(١) به فى جبل طُرَّش من إلبيرة ، فأُخرج إليه محمد بن أُمية الوزير ومن معه ، ونفذ إليه العهد فى ضرب رقابهم كلهم ، فكتب محمد بن أُمية يَستعفى من قتل أَخى هاشم ، فأُخرج أَيدون الخصى(٢) ، فضرَب رقبته وأتى برأسه ، ورفع على باب السُّدة .

وهاشم حينئذ قائد فى الثغر ، فلما بَلغه الخَبرُ ، وغدا الناس إليه فى العسكر ، قال لهم : فلم أَستحق عنده ، مع استبلاغى فى نَصيحته وما أَتولاه ، أَن يغفر لى ذنب أَخى ، والله لانصحته أَبدًا .

فكتب بهذا الخبر إلى الأَمير محمد ، فسكت عليه .

---

(١) الأصول : « يطيق » .

(٢) الأصول : « الخليفة » .

من أخبار موسى بن موسى

فلنرجع إلى مابقى من خبر موسى بن موسى : حَشد فأتى إزراق بن مُنْتيل ، صاحب وادى الحجارة وثغرها ، وكان على طاعة مَوروثة للخلفاء ، وكان من أجمل (١) الناس ، فلما نازله موسى بن موسى وتحرك إليه إزراق لمحاربته ، قال له موسى مشافهة : ياإزراق ، لم آتِ لمحاربتك إنما أتيت لمصاهرتك ، نشأَتْ لى ابنةُ جميلة ليس بأَندلس أجمل منها ، فأَردت ألا أُنكحها إلا مِن أجمل أَحداث الأَندلس ، وأنت هو ، فأَجابه إزراق إلى ذلك ، وعُقد النكاح .

وتوجه موسى بن موسى راجعًا إلى ثغره ، وبعث إليه بزوجته .

فلما بلغ الخبرُ محمدًا أَقامه وأَقعده وعلم أَنه سيخسر الثغرَ الأَدنى، كما خسر الثغر الأَقصى، فوجه إليه أَمينًا يمتحن طاعته وما هو عليه ، فصَرف الأَمين وقال : سيَظهر ما أَنا عليه من الطاعة أَو مَعصية .

فلما تشفَّى (٢) من زوجته خَرج فى نفر يسير من أَتباعه ، فلم يسلك مَحجَّة ، ولا وقعت عليه عين أَحد يعرفه ، حتى وقف على باب الجنان ، فقامت فى القصر ضجة ، وتبادر الفِتيان إلى محمد يُبشِّرونه ، فأَمر بإيصاله وعنَّفه على مصاهرة عدوه، فأَعلمه إزراق بالأَمر كيف كان ، ثم قال له : مايضرّك أَن يكون وليك يطأ ابنة عدوّك ، إن أَمكننى أن

---

(١) الأَصول : « اجمال » .

(٢) تشفى : اشتفى .

استألفه بهذه المُصاهرة إلى الطاعة فعلت ، وإلا أنا فى جُملة من يقاتله فى طاعتك ، فاستندمه أيَّامًا ثم حباه وكساه وصرفه .

فلما بلغ ذلك موسى بن موسى حَشد إليه وحصره بوادى الحجارة ، فإن إزراق راقد فى القَصبة المُطلَّة على نهر وادى الحجارة ، ورأسه فى حجر زوجته ، وقد انتشر أهلُ وادى الحجارة إلى كُرومهم وبساتينهم ، فدفع عليهم موسى بن موسى بمن معه ، فألقاهم فى الوادى ، فسُرت الجارية بوالدها ، فنبهت إزراق وقالت له : انظر ذلك السَّبع مايعمل ، فقال لها : وكأنك تفخرين علىّ بأبيك ، أوَ هو أشجع منى ، أولا كرامة له ، ثم أخذ درْعه فألقاها على نفسه ثم خرج ، فتلاحق بموسى .

وكان إزراق من أرمى الناس برُمح ، فانتزعه بزَرقة (١) لم تَعد قَدمه ، فأحس منها ما أحس ، فعاد (٢) راجعًا ، فمات قبل أن يبلغ تُطِيلة (٣) .

ثم صار الأمر بعده إلى ابنه لُب بن موسى ، ثم اتصل أمرهم إلى أن انقطع سنة ثنتى عشرة فى خلافة عبد الرحمن بن محمد ، رضى الله عنه ، وأُجلى جميعهم عن الثغر ، وصُرف الثغر إلى يحيي بن محمد بن عبد الرحمن التُّجيبى .

وسيأتى ذكر التُّجيبيين ، فى موضعه (٤) ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) زرقة : رمية .

(٢) الأصول : « ففوض » .

(٣) تطيلة ، بالضم ثم الكسر وياء ساكنة . (معجم البلدان : ١ : ٨٥٣)

(٤) انظر فهرست هذا الكتاب .

ولاية
المنذر بن محمد

ثم ولى المنذر بن محمد ، رحمه الله ، فكان من أهل العقل والسَّخاء والإكرام لأهل العلم والصلاح ، والاصطناع لكل من أخذ بحظٍّ من علم وأدب .

وعَزل سليمانَ بن أسود البَلُّوطى عن القضاءِ ، واستقضى أبا معاوية ابن زياد اللَّخمى ، وكان من الصَّلاح والفضل بمكان كبير ، وتمسَّك بوُزراءِ أبيه ، وأعاد تمَّام بن علقمة ، ومحمد بن جَهور ، إلى الوزارة ، وكانا خاملَيْن ، ونَوى الصَّفح عن ذنوب هاشم إليه فولاَّه الحجابة ، ثم بلغه عنه ما جَدَّد عليه سُوءَ الرأى فيه ، فسطا به السطوةَ المعروفة .

وكان محمدُ بن جَهور من أشد الناس طلبًا له عنده ، فأتت حيلة هاشم ، فرشا عُمَرَ خادم الوزراءِ ، فسَم له البِيس (١) الذى دعا به ليشربه ، فمات .

وحضر هاشمٌ جنازته فقال على قَبره : يارب عُقدة حلَّها الموت .

وكان محمدُ بن جهور يقول عند الموت : يارُب صَنيع دبَّرته لست أشهده .

ثم شَمر إلى ابن حفصون ، وأخذه بالعزم ، وكان قد أوفى عليه (٢) ، لولا أن المنيَّة فاجأته وهو مُحاصِره .

وكان أخوه عبد الله بن محمد ، الوالى بعده ، فى الجيش ، فأجمع

(١) الأصول : « البنيس » ، تحريف . (انظر الحاشية رقم : ٢ ٩١) .
(٢) الأصول : « به » .

من حَضر الغَزاة مِن الخَدَم (١) والقُرشيين (٢) والموالى والأجناد عليه فبُويع ، وكان منذر على القفول (٣) فنفذ عهده إلى أَبى عروة ، وحفص ابن بَسيل صاحب المدينة ، بإخراج بنى هاشم بن عبد العزيز من الحبس ، وسعيد بن سليمان ، كاتب هاشمٍ ، ومُطرِّف بن الربيع صهره ، وحَملهم على الخُشب وصَلبهم ، ليدخلَ وتقع عينه عليهم فى يوم حُدِّد له دخوله فيه ، فلما هاجته المنية ، وصار الأَمر إلى عبد الله ، كَتب إلى أَبى عُروة يأمره بإطلاقهم ، وضمهم إلى القصر ، وكونهم بين يديه على باب السُّدَّة إلى أن يَقدم ، وأَتاهم الفرجُ فى الوقت الذى كانوا يَنتظرون فيه البلاءِ .

ويَقال : إن مَيسورًا فتاه سَمَّ له القُطن المجعول فى جرح الفَصد ، إذ كان قد تَهدَّده لشئ استقصره فيه ، أَنه يُوقع به عند انصرافه إلى قرطبة ، فلما هَجم عليه الدمُ فُجِّرَ تفجير ضرورة(٢) بِبُبَشْتَر ،فعاجله الموت.

(١) الأصول : « الخدمة » ، وهى غير واردة .

(٢) الأصول : « والقريش » .

(٣) الأصول : « القفل » ، وهى غير واردة .

(٤) كذا .

ولاية
عبد الله بن محمد

وتولَّى عبدُ الله بن محمد ، واستفحل أَمرُ ابن حفصون ، وأَنْزَى (١) ذلك أَكثرَ أَهل الأَندلس .

وعَزل أَبا معاوية عن القضاءِ ، وولى النَّضر بن سَلمة ، ثم عَزل النَّضر وولى موسى بنَ زياد الجُذامى الشَّذونى ، ثم عَزل موسى وأَعاد النَّضر ، ثم عزل النضر وولاَّه الوزارة ، واستقدم أَخاه محمد بن سَلمة من قَبرة(٢) ، ومنها كانت أُصولُهم ، فاستقضاه فعدل وأَذكر مِن سِيرة القضاة الصالحين ، ثم توفِّى ، فولَّى الحَبيب بن زياد ، فكان قاضيه إلى أَن تُوفى عبدُ الله .

واستقدم سَعِيد بن محمد بن السَّلم ، وكانت له خاصَّة أَيام كونه وهو ولد بشَذُونة ، فولاَّه السُّوق ثلاثين يومًا ، ثم قدَّمه إلى الوزارة والحجابة ، فملك أَمره خمس عشرة سنة ، ثم عَزله عشرة أَعوام ، فبقى خاملاً بها إلى أَن مات عبدُ الله .

وعُزل تمَّام بن علقمة عن الوزارة ، وعبدُ الرحمن بن أُمية بن عيسى ابن شهيد عن الحِجابة ، وهو المعروف بدُحيم ، وكان مُنذر قد ولاَّه لحجابة بعد هاشم ، وأُغرم صنائعُ مُنذر .

واستفحل أُمر ابن حَفصون ، فعرض (٣) عددًا من رجال القيادة ، منهم أَحمدُ بن هاشم ، وموسى بن العاصى ، فلم يُغنوا عنه .

---

(١) الأصول : «وانتزى» . وما أثبتنا هو الوجه. وأنزاه : جعله ينزو ، أى يثب . (٢) قبرة ، ضبطت ضبط قلم صفة جزيرة الأندلس (ص:١٤٩) بفتح فسكون ففتح وقال ياقوت (معجم : ٤ : ٢٩) : بلفظ تأنيث القبر .

(٣) عرض ، أى قدم .

واستوزر سليمان بن وانسوس ، وقال لعبد الملك بن عبد الله بن أمية ابن يزيد ، وهو وزيره وكاتبه : قد ضَمَّتْ الضرورةُ إليك ، ولست أَجد من أَدفع به هذا العدوّ غيرك ، فصَرف إليه القيادةَ .

واستوزر عبدَ الله بن محمد الزجّالى ، وصَرف إليه الكتابة .

وتولّى ابنُ أُمية حرب ابن حفصون ، فقام به وقعد ، إلى أن قتله مُطرِّف وابنَه بإشبيلية ، وصارت القيادة إلى أحمد بن محمد بن أبى عَبدة ، وكان يومئذ وزيرًا وصاحب المدينة .

وكان سَبب قتل مُطَرِّف له أنه كان قَبيح النِّية فى أَبيه عبد الله ، وكان ينوى خَلعه ، وكان يقول : إنه لايُمكنه ذلك مع ابن أُمية من عبد الله ، وقد كان عبد الله يَحذر ذلك عليه ، وقد كان قال لِمُطَرِّف : قد سَوَّغتُك قتل أخيك محمد إذ عاند وخالف ، وبالله لئن أَحدثت فى ابن أُمية حدثًا لأَقتلنَّك به .

وقد كان أَيضًا حذَّر ابن أُمية منه ، إذ كان قد اطلع على باطنه ، وقال له : لايَجمعنك به السُّرادق ولا تراه إلا على ظهر دابتك .

فلما خرج مُطَرِّف وابن أُمية يريدان إشبيلية ثم شَذونة ، وقابلا إشبيلية ، أَوصى مُطَرِّف إليهم يقول لهم : قد عرفتم عداوة ابن أُمية لكم ، وقُبح أَياديه عندكم أَيام ولايته لكم ، وهو على تلك الطريقة حتى الآن بإغراءِ الأَمير ، أَبقاه الله لكم ، فإن أَرحتكم منه تخرجوا إلىّ .

وكانت إشبيلية يومئذ ممتنعةً مضبوطة ، وكان ضابطها كريب بن خلدون ، وإبراهيم بن حجاج ، وأَجابوه إلى الطاعة ، فقتله وبعث برأسه إليهم ، وكان قَتله له فى السرادق ، فخرجوا ، فشكر لهم طاعتهم ،

وأمر بالتأهب للخروج معه إلى شَذونة لجمع طاعتهم إلى طاعة بنى عبد الملك ، ثم يُنفذ ماكان نواه من خَلع أبيه .

فلما بلغ أباه قتلُ ابن أُمية أقلقه ، وظَهر له بذلك سُوءُ نية مُطَرِّف فيه ، فخاطب أهل إشبيلية وأهل شَذونة يُحذِّرهم أمره ويأمرهم بألاَّ يَطُوعوا له ، فمنعه (١) بنو عبد الملك أنفسهم ، وأراد ابن حجَّاج ، وابن خلدون ، خرق عسكره ، فبغى عليهما ابنُ دَيْسم الإشبيلى ، فنقض عليهما وعلى من كان معهما ، وعلم أن قد قُطع به عن أمله ، فكتب إلى أبيه يسأله الأمان ، فأمَّنه .

فلمَّا قدم قُرطبة ، وصار فى داره فى المدينة ، بلغت الوُزراءَ وأكابر الناس بلاغاتٌ منكرة ، منها أن الشيخ ابن لُبابة ، وأبا صالح ، وابن الصفار ، وعبيد الله بن يحيى ، ومثلهم من أكابر المسلمين وأعلامهم ، دخلوا عليه مُسلِّمين ومهنئين بالعافية بقدومه من السفر ، وبتأمين أبيه له ، فقال عند خروجهم عنه لكاتبه مروان بن عبيد الله بن بَسيل : إن عشتُ قليلاً لأَطعمنَّك اسفيريا (٢) من لُحوم هذه الجُزر ما أكلتَ مثلها قط ، فنقل ذلك الكاتبُ إلى عُبيد الله بن يحيى ، إذ كان وصيَّه والناظر عليه ، فاجتمع عُبيد الله بن يحيى بأصحابه وعَرَّفهم بما كان من قوله ، فأجمعوا على قَتْله ، واستحلُّوا دمه بالزندقة المَنسوبة إليه ، فقَصدوا الحاجب ابن السَّليم (٣) ، فقالوا : إنا قد بُغِينا (٤) على الجلاءِ عن دورنا بإخافة

(١) الأصول : « فمنعوه » .

(٢) كذا . ويقابلها فى الترجمة الأسبانية : لحم متبل بالبصل .

(٣) ابن السليم ، هو سعيد بن المنذر ، وسيأتى ذكره . (انظر فهرست هذا الكتاب) .

(٤) بغينا ، أى طلب إلينا .

مُطَرِّف لنا ، ورغبته إلينا فى البيعة له وخَلع أبيه ، فإن كنتم تَحموننا وإلا صرنا إلى الجلاءِ ، فمعنا علومٌ لسنا نَفقد من يُكرمنا بها حيث توجَّهنا ، فأَنهى الحاجب ذلك إلى عبد الله أَبيه ، فوجَّه إليه عُبيد الله ابن محمد ، صاحب الخيل ، وعبد الله بن مُضر ، صاحب المدينة ، فحاربا يومين وأُخذ فى اليوم الثالث ، فتوجَّه ابن مُضر ، وبقى عبيد الله بن محمد فى داره ، فوقَّفه ابن مُضر فى دار الوزراءِ ، وأُدخل ، فأُعلم بحضوره ، فقال له الحاجب : ولماذا سُقته ؟ ارجع به إلى داره فاضرب رقبته وادفنه ، فكان ذلك .

وصُرفت القيادة إلى أَحمد بن محمد بن أَبى عَبدة ، بعد قتل ابن أُمية ، وقد كان مُطَرِّف اغتال أَخاه محمدًا فقتله فى القصر ، بعد أَشياء كثيرة معلومة دارت بينهما ، فأَخذه الله بدمه ، إذ كان خَيِّرًا وأَصحَّ ديانة .

فقام ابنُ أَبى عَبدة بحرب ابن حَفصون وغيره من المُنتزين بالأَندلس ، واستجلب الشُّجعانَ من الرِّجال من كل بلد وضمهم إلى الحق ، فاجتمعت حوله عقدة من ثلثمائة فارس ، لم يجتمع بالأَندلس قبله ولا بعده مثلها ، فلم يَزل يدفع ابن حَفصون عن استطالته وانبساطه حتى حاربه على بابه » .

وقَوى أَمر الأَمير عبد الله به حتى خرجت الصوائف (١) من قرطبة إلى جوانب الأَندلس ، وأَورد كثيرًا من جبايتها فى كل عام من ذلك .

---

(١) الصوائف : الجيوش تخرج صيفاً .

خروجه إلى ديسم بن إسحاق صاحب تدمير

وقد كان استكثر من الرجال وشجعان الثغر وابتياع العبيد ، حتى بلغ عدده خمسة آلاف فارس سوى الرجال ، فلما قرب من دَيسم بن إسحاق بمثل محلَّتين كتب إليه يأمره بإيراد مايجب عليه من الجباية ، إذ كانت توقفت عنده الأعوام ، فلما قرأ كتابه استخفَّ به وأظهر التهاون بأَمره ، وشاور أَصحابه ، فقالوا له : إيذن لنا نَأتك به الساعة ، ثم قالوا له : إذا قربت محلَّته منَّا طالعنا عَسْكَره حتى نرى قَدْره ، فإنه بلغنا أَن عدده قليلٌ ، فاطلَّعوا عليه المحلة .فرأوا عددًا احتقروه وطَمعوا به ، فلما كان بالصباح ونَهضوا إليه أَلفوه قد تحمَّل ، وبين يديه ثلثمائة سيف مَسلولة ، فلقُوا جمعَ ابن إسحاق بعزم ، فلم يَرتفدوا (١) لهم ساعة ، فصُرع منهم فى المحلَّة التى ينزلون فيها أَلف وستمائة .

ثم تقدَّم القائد حتى نزل على النهر ، وأَمر أَحد العرفاء بأَن يقول : يأَهل تُدمير ، فيكم دَيسم بن إسحاق ؟ فقالوا : نعم ، يسمعك ، فقال له : القائد ، أَبقاه الله ، يقول لك : ياكلب يابن الكلب ، بذلنالك(٢) العافية فأَبيتَ إلا العناد ، حتى صِرْتَ سَببًا لذهاب أَرواح هذه الجِيف المطروحة ، ورأس الأَمير ، أَبقاه الله ، لئن لم تُضعف ما أَمرناك به لأَبْتَدئَنَّ بتَغيير هذه النعم ، فلا أُبقى بتُدمير حضرًا ، فصاح بلسانه : الطاعة الطاعة ، وأَورد المال عليه فى عشى ذلك اليوم ، وانصرف .

ومن أَخباره أَن إبراهيم بن حجاج ضافر ابنَ حفصون وقَطع الدعوة

---

(١) كذا . يريد : لم يصبروا . (٢) الأصول : « بذلناك » .

ومنع الجباية ، فأتاه ابن حَفصون زائرًا إلى قَرْمونية(١) بعد تضافرهما بعامين ، وقد كان ابن حجّاج وجّه خيله إلى ابن حَفصون معنيًا له ، فانتفع بها بإلبيرة وتُدمير وبجيّان ، فلما كان فى العام الثالث قال له ابن حَفصون عند اجتماعه به : اجمع لى خيلك وكلّ شجاع فيها وابعث إلىّ بها مع العربى الشريف ، يُريد : فُجيل بن أبى مُسلم الشّذونى ، وكان يتولّى قيادة خيل ابن حجاج ، فإنى أعزم على لقاء ابن أبى عَبدة فى أول حَوز من أحوازى ، وأرجو أن أقلعه ، ثم نغنم قُرطبة فى اليوم الثانى ، فقال له فُجيل ، وكان صحيح العقل صحيح البأس : يا أبا حفص ، لاتستقل عدَد ابن أَبى عبدة ، فإنهم قليل كثير ، ولو جُمع لهم أهلُ الأَندلس كلهم ما أسمحوا لهم بالهزيمة عنهم ، فقال له : ياسيد العرب ، لاتُجبنى عنه ، ومامقداره ، ومن معه ، ومعى ألف وستمائة شجاع ، ومع ابن مَسْتَنة خمسمائة ، ولعل معكم أنتم خمسمائة ، فإذا اجتمع هؤلاء كلهم أكلناهم ، فقال له فُجيل : لعلّ ردعة أو هزيمة ، فما أَطمعك فيه ، لأنى أعرف من أَصحابه ماتعرفه ، فدفع إليه ابن حجاج حَلْبَته وأتى بهم بُبَشْتَر ، وقد بثّ العيون على ابن أبى عَبدة ، فأتوه يعُلمونه أنه قد خلّف وادى شَنِّيل ، وأنه فى حَوْز بِنّة ، وإسْتِجه(٢) ، فنهض إليه فألفاه مُضطربًا ، فتحرّك إليه القائد بمن معه ، فدارت على القائد وعلى من معه جَولة ذَهب فيها خمسمائة وثلاثة وأربعون ، ممّن قُطِف رأسه من الحشد ونَفل العسكر ، وانعقد رجال الحرب ، فسَلم جميعهم ، فلم يُصبْ منهم أَحد .

وانصرف ابن حَفصون وفُجيل إلى مُضطربهما ، وكانا إذا اجتمعا

---

(١) مطبوعة مدريد « قرمونة » . (٢) مطبوعة مدريد : « واستبة » .

لم يكن لابن حَفصون أمرٌ ولانَهى ، ولاتقديم (١) ولا تأخير معه ، فلما نزل ابن حَفصون فى المُضطرب ، وكان جيشه خيلاً لارجالَ (٢) معهم ، بعث إلى بُبَشْتر ، وإلى ما جاوره من الحُصون فى رجالاتهم (٣) ، فاجتمع عنده فى تلك العَشيَّة نحوُ من خمسة عشر ألفَ راجل ، فلما أعجبه كثرةُ عددهم ، ركب بكل من معه ، ثم أتى فُجيلا فقال له : بسم الله ياسيد العرب ، فقال له فُجيل : إلى أين ؟ قال له : إلى ابن أبى عَبدة ، قال له : يا أبا حفص ، خَصلتين فى نهار واحد تحكُّم على الله واستقلال لما أنعم الله ، قد لطمتَه لطمةً يتكوَّر فى ذُلِّها عشرة أعوام حتى يُمكنك (٤) مثلُها ، فاحترز منه جَهدك ، وتحفَّظ طاقتك ، فقال له : نكاثره ونَهجم عليه فى العسكر فنغطيه ، وكثير له أن يركب فرسَه فيهرب (٥) ، إن نَجا أيضًا .

فقام فجيل ودعا بسلاحه ، وقال : اللهم إنى برئ من سوء هذا الرأى .

ونهض القوم ، فألفياه قد أُذِّن له بالعَصر وصَلَّى ووُضع طعامه ليأكل ، وأصحابه حوله ، إذ نَظر إلى الرُّ ح قد قام ، فاستوى الرُّوطى

---

(١) الأصول : « ولاتقدم » .

(٢) رجال : جمع راجل ، وهو خلاف الراكب .

(٣) الأصول : « رجالتهم » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . ورجالات ، جمع الجمع لرجال .

(٤) الأصول : « تمكن منك » . والمسموع : أمكنك الأمر ، إذا سهل عليك وتيسر لك .

(٥) الأصول : « فهرب » .

عبد الواحد على نفسه ، وكان ممّن جُمع له العقل والشجاعة ، فقال : ياأصحابنا ، طمع والله فينا ، وكأنّى أرى ابنَ حَفصون مقبلاً برَكْبه ورجْله .

فثار القومُ إلى سلاحهم ، وصاروا على خَيلهم ، ثم قال بعضهم لبعض : اطرحوا الرِّماح من أيديكم ، وحولوها إلى السيوف ، ففعلوا ، وصَدموا ابنَ حَفصون ومن معه صدمةً لم يرتفدوا (١) لها حتى بلغت الهزيمة إلى معسكر ابن حَفصون ، فأُصيب مِمّن كان معه ألفٌ وخمسمائة ، وكانت العاقبة للمُتّقين .

وكان لابن حَفصون ابنُ أخ مُرتَهن ، عند صلحه الأوّل ، ولإبراهيم ابن حجاج ابنه المسمى بعبد الرحمن ، فلما صابَح قُرطبةَ الخبرُ خرج الأميرُ عبدُ الله إلى السطح ، وأمر بإخراج ولد ابن حجاج ، وابن أخى ابن حَفصون ، وضرب رقبتيهما (٢) ، فنُفذ قتلُ ابن أخى ابن حَفصون أولا ، وكان بَدْرٌ واقفًا على رأسه فى جُملة الوُصفاءِ ، فقال له : يامولاى، قد نُفِّذ قتلُ ابن أخى ابن حَفصون، فإن قُتل ولد ابن حجاج معه عَقَدْت مابينهما إلى الموت ، وابنُ حجّاج يُرْجَى ، وابن حَفصون لايُرْجى ، فدَعا بالوزراءِ وشاورهم فيما قال ، فصوَّبوا رأيه .

ثم أشار بدرٌ عند خروج الوزراءِ عنه ، بمكارمة ابن حجّاج وإسلام ابنه إليه ، وتضمن بدرٌ طاعته وفَيأته(٣) ، ودَس إلى الخازن التُّجيبى ، فكتب إلى الأَمير يُصوِّب رأى بدر ويتضمنً ذلك معه ، فأُطلق ،

---

(١) كذا ، يريد : لم يصبروا .

(٢) الأصول : « رقابهما » .

(٣) فيأته : أى رجوعه .

وسُجِّل له على إشبيلية ، ولأخيه محمد على قَرْمُونية ، وأسلم عبد الرحمن (ابن إبراهيم)(١) بن حجّاج إلى التحيبي الخازن ، وتوجه به إلى إبراهيم أبيه ، فحُلَّ مابينه وبين ابن حَفصون من المناصرة والمعاونة ، وأما المُراسلة والمتاحفة فلم يَنضم إلى قطعها عنه ، وبَقيا على ذلك بعضهما (٢) لبعض إلى أن مات .

وصفت طاعة ابن حجّاج لعبد الله ، وأورد الجباية والهداية ، وصلحت أحوال أهل قُرطبة بانفتاح باب إشبيلية إليها ، وكان سَببًا بانفتاح باب الغَرب كله بالميَر إليه ، وقُدِّم بسبب ذلك بدرٌ إلى محل الوزارة والشُّورى .

* * *

وكان الأميرُ مُنذر قد ولَّى أحمد بن البَراءِ بن مالك القُرشى سَرَقُسطة وثَغرها محاربًا لبنى قَسيّ ، فعَلا أُمر ابن مالك ، واستكثر من الرجال ، فلمَّا وَلى الأميرُ عبد الله ، وكان أَبوه البَراء بن مالك وزيرًا فى البيت ، فنقل عن الوزير إلى عبد الله بعضُ ماغَمَّه وخافه به ، لشئ أَطلقه فى البيت سمعه جميعُ الوزراءِ .

وكان محمد بن عبد الرحمن التُّجيبى ، جدُّ التُّجيبين ، المكنى بأبى يحيى ، له اتصال بالأمير عبد الله وهو وَلد ، فكتب إليه كتابًا يأمره فيه : إن استطاع أَن يفتك بأحمد بن البَراءِ فَلْيفعل ، وبعث إليه فى الباطن بسجلّه على سَرَقُسطة وما والاها ، فأَطلع أَباه عبد الرحمن بن

---

(١) تكملة يقتضيها السياق .

(٢) الأصول : « بعضها » .

عبد العزيز على ذلك، فوَازره عليه ، فأدارا أمرًا بلغا به ما أحبا ، بأن رَشَوا أعوان أحمد بن البَراء فقتَلوه .

فلما أُتى بخبر قَتله عزل أباه عن الوزارة ، وملك التُّجيبيون سَرَقسطة من يومئذ إلى وقتهم هذا .

وحاصر محمد بنُ لب التُّجيبي سَرَقُسطة ثمانى عشرة سنة حتى قتله رجلٌ من الفرّانين على بابها وبين بساتينها ، انتزعه بَزرْقة(١) فقتله .

فلم يزل أمرُ بنى قسىّ فى وَهْى وإدبار من يومئذ ، وباستطالة شانجة عليهم من بَنْبَلُونة (٢) إلى أن ولى الخلافة عبدُ الرحمن بن محمد ، رحمه الله ، فصحبه سعدٌ لم يقابل به شيئًا كان مُسْتَضْعَبًا (٣) إلا وطاع له ، وصار جميعُ ثُوار الأندلس يَرْتَزِقون ويَقْتَطعون فى حَشمه ، وكانت له غزوات بجلِّيقيَّة (٤) عظيمة قَمع الله بها العدو وأهلك كثيرًا منهم .

وفى سنة ثِنتى عشرة وثلثمائة استنزل بنى قسىّ ، وأجلى جميعهم من الثغر الأعلى ، وصار الأمر إلى أبى يَحيى محمد بن عبد الرحمن التُّجيبى وإلى أولاده ، وصاروا فى حَشمه وجنده .

وتُوفى ابن حَفصون فى أول أيامه ، بعد أن كان صار إلى المُنادمة وإقامة الدعوة .

---

(١) زرقة : رمية .

(٢) بنبلونة ، ضبطت ضبط قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ٥٥) بفتح فسكون ففتح فضم .

(٣) الأصول : « مستضعفاً » ولا يستقيم بها الكلام .

(٤) جليقية ، بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة وهاء . (معجم البلدان ٢ : ١٠٩) .

ثم تولى ابنه جعفر ، فعاند ، حتى قتله الله .

ثم تولى سليمان ، أخو جعفر ، فأفرط فى المُعاندة ، واستبلغ فى الحرب ، بالشَّجاعة التى كانت به ، حتى قتله الله بسَقْطة من فرسه فى الحرب ، وأُتى برأسه وجثته . فصُلب على باب السُّدَّة .

ثم تولَّى الأَمر حفصٌ أَخوهم ، فصار إلى العناد أَيضًا ، فغزاه عبد الرحمن بنفسه وبنى(١) عليه . وأَبقى عليه القواد يتَداولونه ، وكان آخر من تولَّى حربه سعيدُ بن المنذر ، المعروف بابن السَّلِيم ، فضايقه بالحصار حتى أذعن بالطاعة ، وكتب يسأَل تأمينه ، وأَن يخرج إليه أَحمدُ بن محمد بن جُدير الوزير ليكون خروجُه على يده ، إذ لم يأْمن ابن السليم ، فخرج واستنزله وقَدِم به قُرطبة .

ثم خرج عبد الرحمن إلى بُبَشتر فهزمها ، وبَنى قصبة فى جانبها ، ثم حارب بعد ذلك ابن مروان ، ثم طُليطلة ، ثم سَرَقُسطة ، فلم يبق عليه مُخالفٌ إلا وصار فى قبضته .

حكى عبد الله بن مُؤَمِّل النديم ، المعروف باليمامة ، قال :

كنا عند عثمان ، ابن الأَمير محمد ، مع جماعة من أُدباء قُرطبة وشعرائها فى يوم عَنْصرَة(٢) ، إذ دخل عليه أَخوه إبراهيم ، وكان أَسنَّ منه ، فقام إليه وقبَّل يده وأَجلسه ، وفَعلنا مثلَ ذلك ، فقال له : ياأَخى ،

(١) كذا .

(٢) عيد العنصرة : عيد تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ ، وهو بعد عيد الفصح بخمسين يوماً .

تطلَّبت اليوم فى المدينة أحدًا آنس به فلم أجده ، وذُكر لى أن جميعهم عندك ، فقصدت راغبًا فى الأُنس بك وبهم ، فعَرض عليه الطعام (١) فقال له : قد طعمتُ ، وكذلك أتيت ، فالتفت عُثمان إلى ناحية الستر فخاطب جاريته بزيعة ، المعروفة بالإمام ، وكانت واحدةَ زمانها فى التَّجويد ، بأَن تُغنِّى ، وقال : أخى وسيدى وشَيخى آثرنى بنفسه فى هذا اليوم فهات كلَّ حَسنٍ عندك ، فاندفعت وغَنَّت :

ويَفرح قلبى أَن أَرى الزَّوْرَ منكمُ   ويزدَاد عِندى مَن أَحبَّكُم قُرْبَا

فجمع عثمان بين عَينيه ، وظهرت النكراءُ فى وَجهه ، فلما انقلبنا عنه ، ودخل إليها ، أَخذ السَّوْط بيده وقال لها : تُغنِّين لدخول أخى .

ويفرح قَلبى أَن أَرَى الزَّوْرَ منكم

لستُ والله أَشك أَنك تَعشقته ، وأَوقع بها ، واتَّصل بنا الخبرُ ، فقلنا : أَمرٌ قد فات ، ليس للكلام فيه وجه .

قال عبد الله : فأَنا عند عثمان فى مثل ذلك المجلس إلى أَيام كثيرة ، إذ دخل علينا إبراهيم أَخوه فقام إليه وأَجلسه ، ثم قال لبَزيعة مثل مقالته الأُولى ، فاندفعت تُغنِّى :

لما رأَيتُ وُجوه الطَّير قلتَ لهـا   لا مرحبًا بغُراب البَيْن والصَّدِّ (٢)

فاستوى إبراهيمُ قائمًا ، وقال : ياأَخى : لِدُخولى تغنِّى بمثل هذا ، فقام عثمان إليه وقال له : ياسيدى ، أضربها الساعةَ خمسمائة سوط ،

---

(١) الأُصول : « الطاعم » .

(٢) الأُصول : « والصداد » .

ثم دعا بالسَّوط ، وكان فى المجلس أَبو سَهل الإِسكندرانى ، وكان من أَملح الناس وأَظرفهم وأَحضرهم جوابًا ، فقام إلى إبراهيم وقال له : بذمة الله وذمتك ، لاتَهْلك الشقية بسبك مرتَّين ، فقد نَالَها بِسبب غنائها لك منذ أيام :

ويفرح قلبى أَن أَرى الزَّوْرَ منكم

ماغَمَّها ، فلو رَمتك بالحجارة لكانت مَعذورة ، فقال له إبراهيم : وها هنا بَلغت بك الغَيْرةُ ياأَخى علىّ ، لله عهد لادخلتُ لك دارًا بعدها ، وخرج (١) .

انتهى تاريخ ابن القوطية

والحمد لله حق حمده

---

(١) جاء بعد هذا فى مطبوعة مدريد نصان ، أحدهما مأخوذ من كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة عن فتح الأندلس ، والنص الثانى نبذة من أخبار فتح الأندلس مأخوذة من الرسالة الشريفية إلى الأقطار الأندلسية ، فآثرت ألا أضمهما لهذا الكتاب : وتاريخ افتتاح الأندلس ، لابن القوطية ، إذهما أجنبيان عنه وليسا منه .وكتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة مطبوع ، وهذا النص المأخوذ عنه يقع فى الجزء الثانى من الكتاب من صفحة ٧٤ إلى صفحة ١٠٥ طبعة الأزهر سنة ١٣٢٥هـ . وأما النص الثانى فسأعمل جاهداً على نشر هذه الرسالة كاملة ، إن شاء الله .



فهارس الكتاب

وتنتظم :

١ — فهرست الموضوعات .

٢ — فهرست الأعلام .

٣ — فهرست القبائل .

٤ — فهرست الأماكن .

٥ — فهرست الشعراء .

٦ — فهرست القوافي .

٧ — فهرست الكتب .

٨ — فهرست الأيام .

٩ — فهرست المراجع .

١ – فهرست الموضوعات

٢ — فهرست الأعلام

٣ - فهرست القبـائل

٤ – فهرست الأماكـــن

٥ — فهرس الشعراء

٦ — فهرس القوافي

٧ – فهرست الأيام

٨ – فهرست الكتب

٩ – فهرست المراجع

ديوان العباس بن الأحنف
المعجم الأسبانى
معجم البلدان .
نفح الطيب